رواية

الطيار

محمد زيدان

الطبعة الثانية

الحمّار

رواية

محمد زيدان

ليليت للنشر
والتوزيع

الإهداء

تُقى أختي حبيبتي.. دعمك ليا أكبر موتور بيشدني وأنا عطلان.
ماما.. أكيد مبحبش حد أد ما بحبك ما تسبنيش إلا وأنتي راضية عني وسعيدة بيه.
بابا.. احنا رجال أعمال زي بعض بس كل واحد فينا من جيل مختلف علشان كده دايما بنختلف، لولاك عمري ما كنت هوصل لأي حاجه النهارده أو بكره أو بعد أي يوم في حياتي، عارف إنك بتشيل كتير بس قلبك أبيض سامحني وأنت الكسبان :)
واد يا شريف يا فايز مش معني إني كتبت اسمك إن أنت شخصية ولا حاجة، بس تشجيعك ليا ولكتابتي يجبرني أهديلك الكتاب ده مع كل اللي بحبهم.. ماما وبابا وتقى وآية وندى ويوسف.

بدت محكمة الجن يومها مزدحمة عن آخرها. تستمع إلى أصوات الجن والإنس في كل مكان، فالصوت في البهو الضيراني يتردد بقوة، وحركات المساجين من الجن على الأرض وفي أرجلهم السلاسل تُصدر صوتًا تقشعر له الأبدان، وعندما يجد الجن المقيد أي فرد من أسرته تجدهم يبدأون في رفع أصواتهم بطمئنته، ويقتربون منه ويحضنونه، ولكن حُرّاس البهو يمنعونهم؛ لأنهم يريدون أن يصلوا بالمسجون إلى القاعة دون أي حيلةٍ تجعل المسجون يهرب، فرغم السلاسل الكبيرة التي تربط رِجل المسجون ويديه والتي تزن وزن إنسيّ، فالجن لهم حيل كثيرة للهروب من هذا البهو، ورغم امتلائه بالحراس الذين يقفون أعلى العمدان التي يزيد ارتفاعها عن المائة متر تحت الأرض يستطيعون فعل ذلك أيضًا في البهو الذي هو عبارة عن مساحة كبيرة من الأرض مليئة بالعمدان الأسمنتية، وسقف ذلك البهو من النحاس الملون، والأرض التي يسير عليها الجن مِن برادة الحديد.

يُضاء البهو بالفانوس الأخضر الذي يشع نورًا أخضر ينير البهو كله الذي يزيد مساحته عن آلاف الأمتار، أما الفانوس فهو في منتصف البهو، بناه كيران أسمد الضيراني حفيد الضيراني الذي بنى البهو منذ سبعمائة عام، وكان الضيراني

قد بنى البهو في الأساس للعِلم، فالضيراني جنٌّ طيّار عابدٌ لله، كان يتنكر في جسد إنسيٍّ ويذهب ليحضر دروس ابن عطاء الله السكندري، وتعلّم على يديه كلَّ علوم الدين، ثم أُعجِب بمسجد السلطان حسن عندما بُني، ووجد فيه كيف تُعلم المدارس الأربعة لعلوم الدين، وأراد أن يفعل هذا في عالم الجن ويُنشئ مدارس لتعليم الجن، لكنه حُورِبَ من الأريني ملك الجن حينها وأعوانه ونفوه بعيدًا عن عالم الجن، ولكنه ذهب للشيخ ابن عطاء الله السكندري في قبره بسَفْحِ المقطم وشكى له حالَه ونام على قبره، فجاءته رؤية يسأل فيها الشيخ ابن عطاء الله أنه يريد أن يُنشئ مدرسةً للدين في عالم الجن، لكنه نُفي من هناك فأخبره ابن عطاء الله في الرؤية أن يُنشئ مدرسته أولًا على الأرض قبل أن يُنشأها تحت الأرض.

قام حينها الضيراني بإنشاء مدرسته في الصحراء الشرقية، وأخذ يجمع أكبر عدد من الجن ليعلمهم علوم الدين، ثم أتته رؤية لابن عطاء الله يخبره أنه حان الوقت لينزل إلى تحت الأرض، ويتولى الراية وينشر الإسلام، كما كُتب له أن ينشر بدلًا من الملوك الذين يدعون الإسلام دون أن يعرفوا عنه شيئًا. ونزل الضيراني وبدأ يحارب الأريني واستمرت الحرب خمسين عامًا، ثم انتصر الضيراني، وحَكَمَ عالمَ الجن وأنشأ البهوَ ليُدرس فيه علوم الدين والقضاء والطب والفلك، ثم أتى حفيدُه كيران الذي درس الفلك وكان جنًّا طيارًا أيضًا، يسافر إلى النجوم، ويحارب الجن الذين يسترقون السمع ويحكم عليهم بالموت، وأحضرَ النور الذي يضيء الفانوس الأخضر من النجم الأخضر الذي يبعد آلاف الأميال

عن الأرض ولم يستطع أول الأمر أن يحضره، فهذا النجم انقسم قبل خمسمائة عام إلى جزئين وتبقى جزء صغير، ولكن حجمه كان يعادل حجم مصر كلها، ولم يستطيع كيران أن يحركه معه إلى الأرض ولم يعرف ماذا يفعل مع هذا النجم، لكن الله هدى له فكرة الزجاج البلوري والذي أحضره من كوكب عطارد الذي لا يستطيع أحدٌ الدخولَ إليه لقربه من الشمس، ولكن كيران صنع لنفسه هو وأعوانه رداءً من الشعب المرجانية التي تنمو أسفل المحيطات عند مناطق انفجار مركز الكرة الأرضية التي يحدث بها براكين دائمًا، وتظل الشعب تعيش وسط البراكين. ارتدى هو وأعوانه تلك الملابس وذهبوا إلى عطارد، وأخذوا الزجاج البلوري، وذهبوا إلى النجم الأخضر، وملأوا منه نورًا وضعوه في ذلك الزجاج، ثم عاد إلى البهو وصنع فانوسه الذي يصل ارتفاعه إلى ثلاثين مترًا، وعرضه عشرون مترًا؛ يأخذ شكلًا بيضاويًا، صنعه من النحاس المخلوط بماء الذهب، وتركه مفتوحًا لم يغلقه بزجاج-صنع فقط الهيكل الخاص به، ثم ملأه بالزجاج البلوري الذي كان يتفاوت حجمه وشكله، وكان يصعب ربطه ببعضه؛ فأخذ حينها الزجاج البلوري وفرده في كوكب الزهرة وحوّله إلى كرة بيضاوية واحدة، ثم أتى إلى هيكل الفانوس وفكّه، ووضع الكرة وبداخلها النور الذي فقد بعضًا منه على كوكب الزهرة داخل الفانوس الموجود حاليًا في ذلك البهو الذي تحوّل معظمه إلى ساحةٍ للقضاء فقط وخرجت كل المدارس منه؛ منها: مَن انتهى تمامًا، ومنها مَن ظلّ لكن البهو الضيراني الآن هو للقضاء فقط يحكم فيه قضاة ممن تعلّموا القضاء في الأرض، وقد أنشأ أسعد الضيراني مجموعةً تُسمى المقتطبة يذهبون إلى العلماء والمشايخ والقضاة يصاحبونهم، ثم يُمهدون لهم

الطريق؛ ليبخبرونهم أنهم جنٌّ، ويطلبون منهم النزول إلى باطن الأرض وما زالت تلك المجموعة تعمل حتى الآن فضلًا عن أي مجموعة أخرى، وتمّ خروج عدة مجموعات أخرى؛ منها: حُرّاس السكة، وحُرّاس الأرض، وحراس البهو. وبدأ القضاة يأتون من الإنس ليفصلون في قضايا الجن، وإذا أذى جنيٌّ إنسيًا يُحقِّقُ حراس الأرض في الموضوع ويقومون بالقبض على الجني وحينها يحضر الجني محاميًا إنسيًا؛ ليدافع عنه.. فتلك هي الحالة في البهو يوميًا: جن وإنس يملأونه ذاهبين وعائدين من وإلى القاعات التي يقوم المحامون بالمرافعات أمام القضاة لتبرئة الجن من القضايا التي أساؤوا فيها لإنسيين أو لبعضهم.

لا يستطيع الإنسيُ السيرَ على برادة الحديد، فصنعوا لهم ممرًا أسمنتيًا يسيرون عليه. كانت آية الشرقاوي تسير على هذا الممر مسرعةً فهي دائمًا تشتكي من المسافة بين أول البهو والقاعات، وتريد الآن أن تلحق الجلسة التي ستدافع فيها عن جابير رقيم الأشعم. جابير عليه حكمٌ غيابي، عندما مرضت أمه واقتربت ساعتُها قرر المكوثَ بجوارها؛ لأنه لم يكن يعيش في المملكة كثيرًا، قُبض عليه بعدما توفت أمه، ولم يُحضر محامٍ للدفاع عنه، فهو يعيش بائسًا بعد موت والدته التي وصته بعدم العودة إلى الخروج من المملكة. دخلت آية القاعة متأخرةً وسمعت القاضي يتحدث:

- فين المحامي إلى هيترافع عنه؟

حينها دخلت آية بسرعة وهي تنظر إلى جابير الموجود بالقفص، كان يشبه كثيرًا الإنس لولا حرق في وجهه وهو صغير أفقده عينًا وجعله بعينٍ

واحدةٍ، أما جلده البني المائل للاحمرار لا يفرق كثيرًا عن جلد الإنسان، فالجن تختلف أشكالهم عن الإنس، ولكن منهم من يشبه قليلًا الإنس.

- أنا يا فندم حاضرة عن المتهم جابير.

نظر إليها القاضي بغير رضا، ونظر في ساعة المحكمة الفولاذية الموضوعة فوق الباب التي دخلت منه آية، اقتربت آية من المنصة وهي ترتدي روبها الأبيض ووضعت ملفًا كبيرًا كان بيدها جانبًا

- حضرتك متأخرة ليه؟

- يا فندم أنا إنسية مبطرش حضرتك، والمواصلات تحت صعبه جدا.

- شايفاني جني يعني! ما أنا زي زيك وعندي روماتيزم وجاي قبلك بساعتين.

- ألف سلامة على حضرتك يا فندم.

- اتفضلي.

- نظر إليها جابير بغير اهتمامٍ، ونظر إلى القاضي وأخذ يلف برأسه في كل الاتجاهات حتى استقر على جنيةٍ كبيرةٍ في القاعة ذكّرته بأُمِّه.

- أنا بطلب من حضرتك تأجيل الجلسة حتى أقوم بدراسة القضية؛ علشان والله لسه واخداها امبارح يافندم.

- نظر إليها القاضي بغير عناية، ثم نظر إلى عدة أوراقٍ أمامه، وقال:

- تؤجل إلى جلسة ٢/٧.

- بعد إذنك يا فندم أنا لسه مقعدتش مع المتهم ممكن أطلب الجلوس معاه.

ردّ القاضي بغضب:

- وأنا مالي شايفني حارس.
- آسفة يا فندم آسفة.

شَعَرَ جابير بغير الرضا، فجابير أخذ حكمًا غيابيًا بالحبس 300 عام، وعندما قُبض عليه كان من المفروض تنفيذه، لكنه يحق له إعادة الحكم طالما كان غيابيًا. ذهبت آية لتلتقي بجابير في السجن المحبوس فيه وهو سجن البحر الكبير الموجود أسفل البحر الأحمر ولا يوجد له منفذ من تحت الأرض والطريق الوحيد للخروج من خلاله هو الماء، وقفت آية على الشاطئ تلك الليلة في العين السخنة وخلفها الجبال التي تحضن البحر بارتفاع شاهق، تظهر في الظلام أشباح أكثر رعبًا من الجن، ثم أتت المعدية السوداء وهي مركب لا يراها إنسي، سمعت آية ثلاثة تخبيطات، فخبطت بمثلهم فوجدت الأرض تُضاء تحت مياه البحر فوضعت رجلها الأولى على المياه التي أسفلها نور، ثم رفعت الرجل الأخرى لتجد نفسها واقفة على المياه، ولكنها كانت على المعدية قالت آية:

- السلام على أهل السلام، أهل السنة والقرءان، أهل الحق والخير على أحفاد تلامذة العدنان.

فوجدت الإضاءة التي أسفلها تتحرك، فتحركت مع الإضاءة، وهي كالسائرة فوق المياه وسمعت الصوت الأجش لعجوز:

- وعليكم السلام.

ثم تحركت مع النور حتى توقفت المياه عن الظهور تحت رجلها.

- اقعدي مكانك.
- اقعد هنا حضرتك؟

لم تكن ترى شيئًا، وأخذت تتحسس بيدها حتى وجدت شيئًا حديديًا جلست عليه، ونظرت إلى المياه في الظلام لا ترى شيئا ولا تعلم كيف تجلس على المياه، ثم تحركت المعدية فأضاء نور سيارة متحركة لها البحر من تحتها، فوجدت نفسها تجلس فوق المياه وتتحرك في الهواء فشهقت قائلة:

- اه!
- مالك؟
- مفيش حضرتك.
- انتي محامية ولا رايحة تزوري حد تعرفيه؟

لم تكن تعرف مَن تكلّم حينها، ولكنها ردّت:

- محامية.
- امال مالك؟ أول مرة تركبي معايا المعدية؟
- اه حضرتك.
- علشان كده.
- بدأت تشعر بهواء البحر في وجهها وأنها طائرة، ولولا شعورها بأرض أسفل منها لإنهارت .

- طب غمضي عنيكي.

- حاضر.

أغمضت عينها، ثم قالت:

- هو السجن بعيد؟

فلم يرد، حينها فتحت عينها لتجد نفسها تنزل أسفل المياه، وتتنفس بشكل طبيعي وسمعت صوت اختراق المعدية للمياه، لكنها لم يلمسها ماء فحاولت أن تحرك يدها في أي اتجاه فوجدت هواءً، ثم نظرت في المياه، فوجدت ضوءًا أحمر بعيدًا لا تعرف ما مصدره ونظرت إلى أعلى، فوجدت سطح المياه فوقها، اقتربت المعدية من الضوء، فوجدته آية شعلةً على عصاه مضاءة وسط المياه، وخلف الشعلة بابٌ حديديٌ سمعت الصوت الأجش وهو يقترب منها:

- البسي ده.

فنظرت، فوجدت مشمعًا معلقًا في الهواء قامت من مكانها وأمسكته لتجده رداءً من البلاستيك وله (زعبوط) ارتدته بالكامل، ثم سمعت الصوت:

- الباب هيتفتح، مدي رجلك من على المعدية وحطيها جواه.

ثم وجدت الباب يُفتح للداخل ولايدخله ماء، وسمعت أصوات مياه خفيفة تنزل على رأسها فسارعت بوضع رجلها ناحية الباب الذي كان في نفس مستوى المعدية فوجدت مياه تصلها ولا تعلم من أين تصلها حتى دخلت بكامل جسدها بعد الباب لتجد نفسها على أرض صلبة وأمامها صفٌ طويل من الشعلات الحمراء المعلقة على جدار ناحية اليمين تنير فقط الطريق التي لا تعرف ما يوجد في يمينه أو في يساره، ثم سمعت الصوت الأجش:

- المشمع.

فحينها خلعته من عليها ومدت يدها ناحية المعدية، فوجدته يتحرك للخلف ثم سمعته يقول:

- خليكي ماشيه على طول.

سارت في الطريق المضاء بتلك الإضاءة الخافتة، ثم وجدت بابًا يُفتح من الخلف تظهر منه إضاءة أقوى من الإضاءة المتواجدة فيها، مرت ناحية الباب وعبرته، فوجدت نفسها داخل غرفة مضاءة بشكلٍ جيدٍ تظهر جدرانها خرسانية وبها ترابيزه وكرسي وعلي اليمين يوجد فتحة في الجدار يخرج منها نور، اقتربت منها لتجد الباب يُغلق من خلفها، ونظرت فيها فوجدت طبقًا به عظم، ونظرت يمينًا ويسارًا، ثم فوجئت بجنيٍ يجلس أمام هذا الطبق، قزمًا له قرنان وثلاثة عيون وينبت الشعر في وجهه من ناحية واحدة فشعرت بخضة وعادت للوراء، بينما بدأ هو في الأكل من العظم:

- اؤمري.

- جابير رقيم الأشعم، أنا المحامية بتاعته.

- وأنا أعملك أيه؟

- عندي ميعاد بالزيارة.

وهمت في أن تخرج ورقة من شنطتها.

- أنتي أول مرة ليكي هنا؟

- اه.

- طب اقعدي على الكرسي ده.

- وهو هيجي حضرتك؟

- ماهو مرزوع جوه اهو.

عادت بالنظر إلى الخلف ولم تجد شيئًا.

- مفيش حاجه حضرتك!

- هو مش باينلك؟

ونظر ناحية الترابيزه:

- ماتتنيل تبانلها ولا عايزهم يروقوك!

حينها نظرت ناحية الترابيزه مجددًا، فوجدت جابير ظاهرًا.

- بانلك؟

- اه بان، شكرًا يافندم.

حينها أغلق القزم الشباك بقوة، وترك آية وجابير في الغرفة وحدهم. ذهبت آية لتجلس أمام جابير فوجدته غير معتنٍ بها، كان يشبه الإنس كثيرًا لولا وجود عينٍ واحدةٍ في وجهه وعدم نمو شعر له في نصف رأسه الايمن وجدته آية يجلس على الهواء.

- ايه ياعم زعلان مني ليه ومش عايزني اشوفك؟

نظر جابير بعينه الواحدة إلى آية، وقال لها:

- تفتكري هتفرق؟

- طبعا هتفرق.

- هتفرق ازاي؟! أنا كده كده وأخد 300 سنة هتخليهم 250 يعني!

- وضعت آية شنطتها على يد الكرسي وعدلت حجابها على رأسها، ثم

قالت:

- هجبلك براءة.

- براءة ايه! أنتي مبتدئة! ده أنتي المحكمة اللي جايباكي ليا.

- مين قالك كده؟

- امال بتدافعي عني ليه؟! أنا معيش حاجة اديهالك ولا مستنياني آخد براءة واروح ادورلك على الذهب في الجبل؟

- لأ.

- امال؟

- المحكمة هي اللي جابتني ليك اه، بس أنا قيدت نفسي في المحكمة. أنا معرفش أنت مين، بس أنا عايزة طيار يعملي خدمة، فأنا هطلعك براءة مقابل خدمة.

- اقتلك حماتك؟

- لأ.

- جوزك؟

- لأ.

- ابنك عنده سرطان وعايزاه يتعالج بره؟

- الله أكبر، لأ.

- امال؟

أخذت آية نفسها، ثم قالت:

- في واحد بحبه..

فتح جابير عينه الوحيدة عن آخرها واقترب منها:

- وعايزاه يحبني ويتجوزني أنت هتمسّه، بس مسّ خفيف كده، وتخليه يحبني ويجي يتقدملي.
- انتي هابلة يابت ماتروحي لأي دجالة تعملك عمل وتحطه في رجل كلب ميت.
- لأ لأ أنا مليش في الحاجات دي طبعًا.
- وربنا! امال ليكي في ايه؟! أنتي ممكن تطلبي من الطيّار أنه يعملك أي حاجة، ايه اللي يخليكي تختاري ده يعني؟!
- بحبه أوي ياجابير والله.
- والله!
- ده شكله ايه ده؟

هدأت قليلًا، ثم قالت:

- وسيم طبعًا، عسل، راجل، أسمراني.
- أسود يعني، مشهور طيب، غني؟
- لأ والله ده عيادته جنب مكتبي وعلي اده.
- دكتور ايه؟
- دكتور أسنان.

حرّك جابير يده اليمنى لأعلى ليعدل بها خصلات شعره، فرأت آية السلاسل المربوط بها ذراعه الأيمن التي لا تستطيع تحريكها بيديها الاثنتين، ورأت أصابعه السبعة، ثم سألها:

- انتي مكتبك فين؟
- فوق.
- منا عارف إن مكتبك فوق، فوق فين؟

لوت آية بوزها وقالت:

- جسر السويس.
- انتي من القاهرة يعني؟
- اه.
- أصل أنتي شكلك مدي على اسكندريه اسماعيلاويه، البنات هناك عقارب.
- انا أصلا من أبو النمرس.
- اه فلاحة يعني؟
- ميرسي على ذوقك.
- وايه اللي شغلك بقى في السكة الهباب دي؟!
- أنا عايزة اشتغل كده.
- محامية فوق وتحت، أنتي شكلك لسه عندك تلاتين سنة.
- ايه تلاتين ايه!! 23 بس.
- مش قوي كده، أنا ممكن أمشيهالك 27 بس مش 23.
- 25 بصراحة.
- وماله، ايه بقى اللي مشغلك محامية فوق وتحت، ولا محامية تحت بس ايه اللي دخلك السكه دي؟

- ستي الله يرحمها كانت بتخاوي كده، فأنا عارفة يعني السكة دي،

رفع فمه لأعلى:

- اه، هي منهم بتوع الأعمال والجن الكافر.
- ياعم بقى ماتعملش فيها بتاع، أنت محكوم عليك ب 300 سنة.
- بس مسلم.

مسلم وعملت كده ليه؟

غضب جابير من السؤال وتغيرت علاماتُ وجهه وسكت قليلًا:

- هتطلعيني براءة ازاي بقى؟!

وضعت الشنطة على الترابيزه، وأخرجت منها عدة أوراق وضعتهم على الترابيزه، ثم وجدت الجني القزم يفتح الشباك الفاصل بينهم وبينه ويتكلم وهو واقف على الترابيزه:

- سلمتي الموبيل بره؟

نظرت آية له في خوف واستغراب.

- انا ملقتش حد بره أصلا حضرتك وبعدين مفيش شبكة هنا.
- أنتي هتحكيلي قصة حياتك، هاتي الموبيل ولو معاكي اتنين هاتيهم، ولو معاكي سجاير هاتيها.

أخرجت الموبيل من الشنطة، ثم أخرجت علبة السجائر المالبورو الأبيض، حينها نظر إليها جابير:

- محجبة وبتشربي سجاير؟!

فرفعت حواجبها وهي تنظر إليه، وقالت:

- وفيها ايه يعني.

ثم ذهبت ناحية القزم وأخذت الموبيل والسجاير وأعطتها له، فأخذهم منها وأغلق الشباك مسرعًا، وعادت إلى مكانها، ثم وجدته يفتح الشباك مرة أخرى.

- لو معاكي ولاعة هاتيها.

فأخذت الولاعة من الشنطة وذهبت بها إليه وأعطتها له، وقالت:

- ليه يعني؟!

لكنها لم تكمل كلامها فأغلق الشباك مسرعًا وأخرج سيجارة ووضعها في فمه، وأخذ يدخنها ومسك الموبيل وأخذ يقلب في صورها، وقال:

يارب يبقى عندها صور ليها وهي عريانة.

عدلت آية الورق على الترابيزه، وأخذت تكلم جابير وهي جالسة:

- بص هو أنت كده كده حكمك ده كان غيابي فهما لازم يبالغوا فيه، أنا بصيت في القضية لقيتها فيها ثغرات من كتاب (قانون الجن)، وأخرجت الكتاب؛ فنظر جابير إليها:

- أنتي قريتي الكتاب ده؟
- اه.
- قريتيه امتي؟
- قريته وخلاص.
- قريتيه امتي؟
- قريته وأنا بقرا قضيتك.

رفع جابير حاجبه الأيمن بقوة:

- أنتي كسبتي كام قضية قبل كده؟

سكتت آية وفتحت فمها، اقترب جابير منها:

- كسبتي كام قضية قبل كده؟

لم تنطق آية.

- خسرتي كام قضية قبل كده؟

ظلت آية ساكتة.

- ترافعتي في كام قضية قبل كده؟

- دي أول واحدة بس..

لم تكمل آية الكلام حتى وجدت جابير يقرب يديه من وجهها، لكن السلسلة منعته، وقامت آية من مكانها.

- وعاملالي فيها ناصحة وأنا مختاراك، أنا قلت رجائي عطيه اللي هيدافع عني.

قالت آية وهي واقفة:

- والله هطلعك براءة وهتشوف والله أنا في المدني وفي الجنائي شاطرة جدًا وأساتذتي في الكلية كانوا بيقولوا إن أنا ممتازة.

أشار لها بيده وقال:

- تعالي اقعدي ماتخافيش.

اقتربت آية وجلست أمامه.

- أنتي ترافعتي في كام قضية فوق؟

لم تتكلم آية ولمت يديها إلى جانبها ووضعتها أمام وجهها، ورجعت إلى

الخلف حينها اختفى جابير، وأخذت تنظر إليه وتنظر في كل الاتجاهات.

- جابير، جابير هطلعك براءة والله أنا شاطرة جدًا.

تكلم جابير وهو مختفٍ:

- وبتقوليلي عندك 23 سنة ماهو أكيد 23 سنة علشان كده ماشتغلتيش قبل كده، وأنا حمار وبسمعلك.

- 28 والله ياجابير.

عاد جابير للظهور.

- 28 وما ترافعتيش في ولا قضية؟!

- هما مش 28 أوي هما 26.

- أعمل فيكي ايه؟! أطلب من المحكمة محامي تاني؟ مش عارف هيجبولي ولا لأ، ما أنا لو هطلع براءة كان جه أي محامي تقيل اترافع عني مقابل خدمة، بس أكيد كلهم شايفين القضية خسرانة فسابوها لجيتي أنتي.

سكتت آية فترةً، ثم بكت وظلّت تبكي مثل الأطفال الصغيرة، ونظر لها جابير ولايعرف لماذا تبكي.

- والله العظيم أنا شاطرة ومحدش بيديني فرصتي علشان أنا أذكى منهم كلهم وهم خايفين مني، أنا شاطرة والله العظيم.

- بس يا ماما.. بس يا حبيبتي.

غضب جابير وبكل قوته أصدر صيحة في وجهها:

- بس.

فسكتت آية.

وفتح القزم الشباك وفي يده السيجارة وأمامه التليفون المحمول يشاهد عليه صور آية، وقال:

- في ايه بتعيطها ليه ياله؟

قال جابير في سره:

- وربنا لو ملكتك.

ثم رفع صوته وقال:

- مفيش مفيش.

فأغلق الشباك بسرعة، ثم تكلمت آية:

- اديني فرصة والله وهطلعك براءة.

- هتطلعيني براءة ازاي يا آية؟

- أول حاجة التحريات اللي اتخدت بعد الجريمة اللي أنت قمت بيها حراس الأرض قالوا إن هما عملوا تحريات قبل البوليس مايجي، والتحريات اللي هما عملوها مكنش ليها علاقة بتحريات البوليس ودي عمرها ما بتحصل، تاني حاجة الرجل اللي أنت قتلته ده كان بيشتغل في السحر الأسود، والأعمال السفلية وحراس الأرض قالوا إن أنت كنت بتشتغل معاه واختلفتوا فقتلته بس أنت مكنتش بتشتغل معاه احنا هنقول ان هو كان بيحاول يجندك بجن كافر وكان بيبعتهملك علشان يجبوك وأنت كنت بترفض، ليلتها هو كان مسير جنه يقبضوا عليك ويجبوك عنده ولم مسكوك مكنش ق[illegible] حل غير إن أنت تقتله علشان هما يسبوك.

تالت حاجة الرجل ده شغال بقالوا كتير في السحر الأسود وحراس الأرض سايبينه يبقى هو أكيد كان بيدفعلهم رشوى.

- كل اللي أنتي قلتيه ده محصلش.

- امال ايه اللي حصل، أنت قتلته ليه ولاهو مات ليه؟

- أنا مقتلتوش أصلا.

- هو ايه اللي مقتلتوش ياعم هو أنا القاضي بتكذب عليه ليه؟!

- أنا مبكذبش أنا مقتلتوش فعلًا.

- امال ايه اللي حصل؟

- أنا روحت لقيته ميت.

- ياعم شغل الأفلام العربي القديم ده القاضي مصري هتقله روحت مسكت السكينة وبعدين لقوا عليها بصماتي!

- سكينه ايه؟! أنا روحت لقيته ميت ولقيت الحراس عنده ومشيت.

- يعني الحراس اللي قاتلينه، طب أنت روحت ليه؟

- كان في مشاكل وكنت بدور على حد عنده.

- طب الحراس ليه كتبوا في الحالة إن هما راحوا لقوك هناك وبتحاول تهرب!!

- معرفش أنا مقعدتش في المملكة من عشرين سنة إلا مع مرض أمي، نزلت قعدت معاها وفوجئت إن علي حكم بعد ما ماتت كمان وقالولي تعالى.

- أنا لو مشيت ورا اللي أنت بتقوله ده هوصل لايه؟ التلت حراس اللي

كتبوا الحالة محدش عارف مكانهم، وأنت عليك حكم هروح أقول للقاضي ايه هو أصلا مفيش قدامنا إلا ورق الحالة اللي هما كاتبينه.

وأخرجت ورقة من الأوراق التي أمامها:

دخلنا إلى الشقة فوجدنا القتيل ينزف، والقاتل يحاول الهرب وعند محاولتنا القبض عليه فشلنا؛ لأنه كان جنًا طيارًا اختفى من أمامنا ولم نعرف إلى أين ذهب.

- يعني ايه؟
- معرفش طب أنت بتفكر في ايه؟ عايز ايه من القضية؟
- عايزك تطلعيني براءة.
- طب أنا لو مكنتش ظهرت قدامك؟
- كنت ههرب.
- من هنا؟
- وهما بينقلوني أنا طيار أعرف أهرب من أي حتة.
- طب قدام هي كده كده بايظه معاك، ماتسبني أقول اللي أنا محضراه.
- إن أنا قتلته؟!
- صدقني هتطلع براءة قتلته لسبب، عمر ما واحد بيشتغل في السحر الأسود يموت ويتحكم على قاتله ب 300 سنة، ده حكم خيالي أنت أخرك 10 سنين.
- طب لو سيادتك جبتيلي عشر سنين ما أنا مش هخلي الواد يحبك.

سرحت لثانية..

- محمد.
- هو اسمه محمد.
- اه.

سكتت لفترة، ثم قالت:

- مش مشكلة دلوقتي بس أنا مش هعرف أقول اللي أنت عايزه إن أنت مقتلتوش وإن الحراس كذابين، القاضي هيعند معايا وهيديك 100 سنة.
- يعني هتثبتي التهمة عليا؟!

رفعت يدها لأعلى وقالت:

- ده حلي الوحيد لكده يأما مش هعرف.
- افرضي حكم عليا بالإعدام.
- خلاص خلي حد غيري يترافع.
- أنتي واثقة إن أنتي هتطلعيني براءة.
- خليها على الله.

هدأ قليلًا، ثم قال:

- ونعم بالله.

أتى ميعاد المحاكمة سريعًا ووقف جابير في القفص مُكبلًا بتلك القيود يتحدث مع آية.

سمعت آية دقة الساعة الموجودة فوق الباب، ثم وجدت قزمًا يقف بعد الباب الذي يخرج منه القضاة يقول:

- محكمة.

حينها تركت آية جابير، وذهبت لتقف مكانها مع الجن الواقفين في انتظار القاضي المصري الذي يحكم وحده في القضية دون مستشارين، جلس القاضي مكانه، ثم جلس جميع من بالقاعة. جلست آية في الصف الأول ترتدي روبها الأبيض، ثم سمعت القاضي يكلم القزم:

- نادي يا ديشان.

فنظر القزم الذي ارتدى بدلة كاملة على جلده البني المائل للون الأصفر إلى الملف الذي يحمله في يده وقرأ أول اسم وقال بصوته العالي:

- جابير رقيم الأشعم.

حينها قامت آية من مكانها وذهبت في اتجاه المنصة وكلمت القاضي:

- آية الشرقاوي حاضرة عن المتهم.

نظر القاضي إليها من فوق لتحت، ثم قال:

- هو فين المتهم ده؟

- في القفص يا فندم.

نظر القاضي إلى القفص ولاحظ جابير، ثم سأله:

- أنت طيار؟

فحرك جابير رأسه بالموافقة.

- ايوه يا فندم.

- أنت محكوم عليك ب 300 سنة غيابي.

فردت آية:

- ايوه يا فندم هو محكوم عليه ب 300 سنة غيابي.

فنظرالقاضي إلى آية:

- أنا سألتك انتي؟!

فردت آية:

- اسفه يا فندم.

فنظر جابير إلى القاضي، وقال:

- ايوه يا فندم.

فسأله القاضي سؤالًا أربكه:

- أنت موافق على المحامية دي؟

فلم يرد جابير فالتفتت آية إليه لتجده ساكتًا، ونظرت إليه كي يتكلم؛ فتكلم جابير بينما ينظر القاضي في الأوراق الموجودة أمامه.

- ايوه يا فندم.

نظر القاضي إلى آية، وقال:

- اتفضلي دافعي.

بدأت آية في الكلام:

- سيادة القاضي حضرات المستشارين.

فضحك القاضي وكل مَن بالقاعة واقترب القاضي منها، وقال:

- المستشارين دول فوق يا ماما.

- اسفه يا فندم.

- أنتي هتلبسي الجني ده حرق شكلك كده.

بدأت علامات القلق تزيد على وجه جابير.

- سيادة القاضي، إن الأحكام الغيابية يجب أن يعاد النظر فيها بموجب المادة ٧٢ من قانون العقوبات؛ ولهذا فأنا هنا سيادتكم لأطلب منكم إعاده النظر في الحكم الغيابي الصادر على موكلي منذ عشرين عامًا، هذا زمن غابر يتحوّل فيه الشخص من السيء إلى الجيد وفي عوالم أخرى تسقط فيه التهم، فنحن ياسيادة القاضي بصدد الحكم...

أوقفها القاضي قائلًا:

- خشي في الموضوع معنديش اليوم كله.

- إنني أطلب منكم التماس الرأفة والنظر جيدًا إلى حالة موكلي وإلى الحالة التي أدانته أمام سيادتكم، فمن حرّر تلك الحالة هم حراس غير موجودين الآن، لا نستطيع أن نأتي بهم ونسألهم لماذا فعلوا هذا، لماذا حرروا حالة يدينون فيها جنيًا قتل إنسيًا يعمل بالسحر الأسود يقتل الناس ويعيشهم في رعب وفزع. إن موكلي هو جن طيار لايستطيع

شخص مثل هذا الساحر أن يتعامل مع مؤهلاته وقدراته، ولكنه ساحر طماع كان يريد لنفسه الثراء والقوة فجنّد جنًّا تُرابيًّا كافرًا ليقبضوا على موكلي، وأصبحوا يتجمعون عليه بالمئات بل بالآلف كل همهم هو تجنيد هذا الجن الطيّار المسلم من أجل أذى الناس، وهذا ما حرّمه الله على معشر الجن وذكرته كل الرسالات السماوية، ونتذكر أحاديث القدامى (فيا معشر الجن لا تمسوا إنسيًّا بسوء، فهو أحسن خلق الله) هكذا كانت الحِكم والأقاويل، ولرفض موكلي مساس الإنسيين بسوءٍ ظلّ هذا الساحر يتبعه ويغريه بأقاويل شيطانية بأنه سيقربه من إبليس؛ ليعطيه قوة الطيارين العظام ويخلده في الدنيا ويجعله يستطيع استراق السمع، لكنه رفض ومع رفضه زاد إصرار الساحر.

بدا على القاضي علامات النوم من كلام آية، أما جابير فكان يعيش في خوف شديد، ويعلم أن آية ليست بالشخص المناسب.

- لهذا جنّد جيوشه وأتى بهم في هذا اليوم، وأحضروه إلى شقته، وإذا عُدتَ لمحضر الشرطة المصرية.

وأخرجت ورقة من شنطتها، وذهبت بها إلى القاضي لتعطيها له..

- مبمشيش بالمحاضر دي هاتيلي حالة.
- سيادتك الحرس اللي كتبوا الحالة محدش عارف مكانهم.
- مليش دعوة.
- يا فندم كان في معركة كبيرة والجيران سمعوا أصوات كتيرة ولقوا الشقة

متكسرة وكان في دم حيض في الشقة ده جن مسلم عمره ما يطلع الحاجات دي.

مدّ القاضي يده، وأخذ الورقة من آية.

- المحضر ده بقاله عشرين سنة.
- ايوه يا فندم.
- جبتيه ازاي ده؟!
- عمي في الداخلية.
- كملي.
- إذًا يا سيادة القاضي بعد كل تلك المحاولات دافع جابير عن نفسه للخروج من تلك الأزمة مما أدى إلى موت هذا الساحر.
- مين اللي قتله يعني؟

سكتت قليلًا، وأخذت نفسها، ثم قالت:

- جابير يا فندم.

فنظر القاضي إلى جابير:

- أنت اللي قتلته يا بني بتثبت التهمة على نفسك!

حينها شعر جابير بالرعب وأخذ ينظر إلى وجه آية ولايعرف ماذا يقول، وتحاول آية أن تجعله يوافق على كلامها وتهز رأسها، فتكلم جابير:

- اصل هو..
- أنت اللي قتلته؟

وأخذت آية تهز في رأسها.

فنظر جابير في الأرض وقال:

- اه.

حينها عادت آية برأسها للقاضي لتكمل حديثها:

- إذا ..

لكن القاضي أغلق الملف الموجود أمامه والذي به عدة أوراق أعطتها آية له، وقال:

- الحكم بعد الإطلاع.

وقال القزم:

- محكمة.

ووقف الجميع وخرج القاضي واقتربت آية من جابير الذي كان غاضبًا بشدة، وقال:

- وربنا لو ماخدت براءة ماهسيبك.

- ياجابير ماتخافش.

- هركبك تلاتين عفريت.

- يا جابير أنت طيب وعمرك ماتعمل كده اهدى بس.

مرّ وقت وآية تتحدث مع جابير، ثم نادى القزم بعلو صوته:

- محكمة.

فذهبت إلى مكانها لتقف حتى يجلس القاضي، ثم تجلس هي الأخرى.

جلس القاضي الذي كان يرتدي بدلة صفراء تبعد نظر جابير عنه فلم ينظر إليه جابير، بينما يقرأ الحكم قال القاضي:

- بعد الإطلاع على أوراق قضية الجني الطيّار جابير رقيم الأشعم، وإعادة النظر في الحكم الصادر بتاريخ ١٩٩٠/٥/١٦ بحبس المتهم٣٠٠ سنة.

نظر جابير ناحية آية التي تنتظر يد السياف لقطع رقبتها أو للإعفاء عنها.

- قررنا نحن القاضي شريف صلاح الخميسي بإعفاء المتهم من الحكم الصادر عليه.

قفزت آية وسط المحكمة وهي سعيدة وأخذت تقول وهي تقفز:

- يس يس.

توقف القاضي عن القراءة، ونظر إليها وهي تقفز في المحكمة بروبها الأبيض:

- أنتي يا أبله، أحبسك كام سنة؟

- آسفة آسفة.

وكتمت ضحكتها وجلست وكانت تريد أن تنظر إلى وجه جابير لترى حجم الابتسامة التي تعلوه وأكمل القاضي:

- والحكم عليه..

حينها سمعت آية صوت يد جابير تقبض على القضبان التي تفصله عنهم

- ب العمل الإصلاحي فوق الأرض ليعيد لإنسي فقدَ حياته بعد تعرضه لمس جني وأصبح يعيش في وحدة بسبب اضطهاد الناس له وذلك في مدة لا تتعدى اكتمال القمر وفي جسد إنسي، وإن لم يستطع يُنفذ عليه الحكم بالسجن ٣٠٠ سنة، وإذا هرب يُحكم عليه بالحرق .. رُفعت الجلسة.

القزم:

- محكمة.

لفت آية بوجهها ببطء ناحية جابير لترى التعابير، ووجدتها كما توقعتها تعابير غضب وامتعاض وتوعد لآية التي اقتربت منه ببطء شديد، ووقفت أمامه وقالت بصوت منخفض:

- حكم حلو.

فردّ جابير:

- هموتك.

ثم وجدت جنيًا قزمًا يمسكه من الخلف.

- يالا علشان تلبس.

التفت له جابير، وقال:

- البس.

نظر له القزم بغيراهتمام وقرف:

- تلبس البني آدم اللي هتطلع فيه، ياله قرك هيكتمل كمان أسبوعين وهتموت.

ثم نظر إلى آية:

- وأنتي واقفة عندك ليه، روحي هاتيله ورق البني آدم اللي هيطلعله وشوفي ايه اللي فيه.

نظرت آية إلى القزم ذي الأربع أعين والجلد الأحمر والثلاثة قرون بغير فهم وعدم رضا عمّا هي فيه، تحرك جابير معه، ثم نظر إليها:

- والله لمشيكي على لسانك.

- علي فكرة ماتخافش موضوع هيعدي وهتبقى كويس وهتاخد قوتك تاني.

ضرب بكل قوته على القضبان الحديدية؛ فأصدر شرارة في القاعة أحرقت شنطة آية الجلدية، بينما وبّخه القزم وقال له:

- اخلص ياله.

ثم قالت آية وهي تحاول أن تُطفئ نيران الشنطة:

- علي فكرة الشنطة دي زارا.

نظر جابير إليها وإلى القزم، وقال:

- أنا ده! أنا كنت بلف العالم في ١١ ثانية يتعمل فيه كده.

- نظرت آية إليه، وقالت:

هجيب الورق بتاع الإنسي اللي طالعنله وهقابلك، ثم نظرت إلى القزم، وقالت:

- هو هيلبس البني آدم ده فين؟

تحرّك به القزم إلى خارج القفص من باب بآخر القفص لا ترى آية إلى أين يؤدي.

فذهبت آية إلى القزم الأصفر الذي يقول محكمة والمدعو ديشان وسألته:

- لو سمحت هو حضرتك هيلبس فين البني آدم؟

سند القزم يديه على المنصة التي يجلس عليها القاضي وقال وهو يهوي بالورق الذي في يديه على وجهه.

- في اوضه اللبس في قاعة تسعة، اشتريله هدوم علشان البني آدم اللي

هيلبسه عريان.

ظهرت على آية علامات الغضب، ثم قالت:

- طب اجبله لبس منين دلوقتي؟

فقال لها القزم:

- استني القاضي لما يطلع واسئليه.

فنظرت ناحية المنصة بخوف شديد، حينها ضحك القزم عليها وهو يغطي وجهه وعيونه بالورقة من الضحك وتركته آية وخرجت لا تعرف ماذا ستفعل، وأخذت تبحث في البهو عن مكانٍ لشراء الملابس، لكنها لم تصل إلى أي شيء.

دخل جابير إلى أوضة اللبس مكبلًا، ويسير بجواره القزم معه ورقة، عندما دخل جابير الغرفة وجدها غرفة ذات ارتفاع شاهق يصل ارتفاعها إلى ارتفاع العمدان الموجودة في البهو ومقسمة إلى قسمين يمين ويسار، كل قسم فيه توابيت مرصوصة بجوار بعض وفوق بعض، الصف الواحد به حوالي مائة تابوت بجوار بعضهم، والصف رأسي به أكثر من ألف تابوت فوق بعض مكتوب على الناحية اليمنى في منتصف المسافة بين السقف والأرض (إنس) بخط كبير، وعلي الناحية اليسري في منتصف المسافة بين السقف والأرض (جن) بخط كبير. التابوت الإنسي طوله لا يتعدى مترين وعرضه وارتفاعه لا يتعدوا مترًا، أما التابوت الجني فتختلف أحجامه من تابوت طوله عشرة أمتار وعرضه وارتفاعه ثلاثة أمتار إلى تابوت في حجم تابوت الإنسي، وفي منتصف السكة بين الصفين يوجد كرسيان فقط ولا يوجد شيء آخر في الغرفة سوى الجنيَين اللذين كانا بالغرفة؛ أحدهما: قزم والآخر: في جسم جابير والذي يعتبر في جسم

البني آدمين، عندما رأى القزمُ الذي بالغرفة جابير ومعه القزم؛ ابتسم وقال:

- دسوس.. ازيك ياله؟

- أهلا يا اخويه، ازيك يا شفعان؟

وكان يقصد القزم، ثم سلّم على الآخر:

- - ازيك يا جرياص؟

- - ازيك يا دسوس، جايبلنا ايه؟

اقترب دسوس وأعطاهم ورقة كان يحملها بيده، فأخذها جرياص وبدأ في قراءتها، ثم نظر القزم إلى جابير من فوق لتحت، وقال:

- والحلو بقى جاي في ايه؟

انتهى جرياص من القراءة في الورقة وعاد إلى الخلف ناحية دولاب الإنس وقال لجابير:

- معاك لبس؟

حينها سأل شفعان جرياص، بينما ذهب دسوس ليجلس.

- أنت هتديله ايه؟

ردّ جرياص:

- هنشوف بس هو معاه لبس ولا هيمشي عريان، في بره إنس مينفعش يشوفوه عريان. ماترد يا عم الطيار.

تكلم جابير وهو مرغم على أمره:

- في محامية راحت تجبلي لبس.

فسأله شفعان:

- يعني نستنى ولا نلبسك البني آدم دلوقتي؟

فسأله جابير:

- يعني مفيش بني آدمين لابسين، كلهم عريانين كده!

- فضحك دسوس بعيونه الأربع.

وردّ جرياص بزهق:

- لأ يا سيدي مفيش، اخلص.

اقترب شفعان من جرياص ولمس جلده وأشار له بأن ينزل فنزل برأسه قليلًا، فقال له:

- هتديله ايه؟

- مش عليه ٣٠٠ سنة ولومجاش هيموت يبقى نديله واحد ميت.

- أنا قلت كده بردوا.

- هاتلي ورقته هاتلاقي الجن الطيار في آخر تابوت.

تحرّك شفعان برجليه غير المستويتين يتأرجح على الأرض بأقدامه المفلطحة التي لا تستطيع تثبيته وهو يتحرك حتى وصل إلى آخر تابوت، وأخرج عدة أوراق وأحضرها، وأتى وأعطى الورقة التي بها رسمٌ لجابير عبارة عن رسم فراغي للجن يختلف قليلًا عن الإنس في التحام الرقبة بالكتف، فرقبته قصيره قليلًا، أما ظهره فهو أعرض قليلًا من الإنسان وساقيه أرفع من ساق الإنسان، أما باقي الصورة فهي فراغية لا يوجد تحديد لعدد أصابع مثلًا، أعطى شفعان الورقة إلى جرياص وكان بالدوسيه قلمٌ معلّق، أمسك جرياص الورقة واقترب من جابير المُكبّل وبدأ في تفحصه والكتابة على الرسم عند الوجه رسمَ عينًا واحدة،

وشطب على مكان العين الأخرى، وعند الجمجمة رسمَ شَعرًا في ناحية وفي الناحية الأخرى وضع علامة x، ثم رسمَ الأذنين والأنف والشفايف، وتفحص الوجه بيده، ثم قال له:

- بيطلعلك شعر في وشك؟

- لأ.

فوضع علامة x على الوجه، وأخذ يكمل الرسم حتى وصل إلى أصابع اليد، فرسم سبع أصابع، ثم قال له:

- اقلع.

ردّ جابير وهو غير فاهم.

- اقلع ايه؟

- أنت شايف نفسك لابس ايه حتة قماشة مغطي بيها الحاجة.

- طب واقلعها ليه؟!

- علشان ماتجيش -ده لو جيت يعني- تستلم جثتك تقول سرقتوا حاجتي هرسمهالك دلوقتي وابصمك علشان تبقى مثبوته، اقلع يا عم ما تتكسفش.

خلع جابير القماشة، ثم رسمَ جرياص ما وجده تحتها، ثم قال له:

- ادير.

وقلب جرياص الصفحة ورسمَ مؤخرة جابير.

فتح الباب الحديدي الكبير بعد أن دقّ:

- سلاموا عليكوا.

آية وفي وجهها مؤخرة جابير، فنظرت آية بوجهها في اتجاهٍ آخر بينما ضحك القزمان بشدة؛ دسوس الذي يجلس على كرسي، وشفعان الواقف أسفل رجل جابير، ثم ارتدى جابير القماشة وبدأ جرياص يرسم في الصورة الخلفية، ثم أعطى الورقة لشفعان ليرسم الجزء السفلي من جابير، وقال لآية:

- خلاص اكيد لبس تعالي.

فدخلت آية وهي واضعة يدها التي تحمل فيها أوراقًا على وجهها، ثم أنزلتها وكانت تحمل بيدها الأخرى جلابيه، واقتربت من جرياص وأعطته الجلابيه:

- أنا جبت اللبس اهو.

فردّ دسوس:

- استني شويه يا ماما، ايه مستعجلة على ايه؟ هو لسه دخل!

فضحك هو وشفعان عليها، ثم قال شفعان لجابير وهو يرسم جسمه:

- افتح يا بني رجلك عدل.

انتهى شفعان من الرسم، ثم أعطى الورقة إلى جرياص فقال له جرياص

- اديهاله خليه يبصم.

فتكلمت آية:

- ثانية واحدة، هيبصم على ايه؟

فردّ دسوس:

- هيبصم على جسمه.

فقالت آية:

- طب اشوف بعد أذنك.

ومسكت آية الورقة وأخذت تتفحصها، وقال جرياص لشفعان:

- هاتلي ملف الإنس.

فذهب شفعان إلى تابوت وأحضر له أوراقًا كثيرة، وأعطاها لجرياص في يده فأخذ يقلب فيها، ثم أخذ ورقة وأعطى شفعان الباقي، فسأله شفعان:

- - هتديله ايه؟

فأراه جرياص الورقة، فضحك شفعان وقال:

- ده جامد ده، هاته ياله.

أخذ ينظر جرياص إلى توابيت الإنس، ثم طار وأخذ يمر بجوارها حتى وصل إلى تابوت معين أخرجه وحمله في الهواء بيديه، ثم نزل به إلى الأرض وفتح الغطاء من عليه فنظر شفعان إلى الجثة، والتفتت آية وجابير للنظر، فقال لها جرياص:

- ماتبصيش يا أبله.

فظلت آية تنظر على الجثة العريانة وهي لإنسيّ في السابعة والعشرين، يوجد علامة بوجهه ناتجة عن إصابة بسكينة في وجنته اليمنى، قمحي، عيونه سوداء، شعره متوسط الطول، أسمر.

- قال جرياص:

- قلتلك ماتبصيش انتي كده بتبصي على واقف جنبك.

فنظرت آية ناحية جابير وعندما تلاقت عيناهم شعرت بغضبه، فعادت للخلف.

اقترب شفعان وهو يتحرك مثل البطريق:

- خلي بالك علشان رجله بتوجعه هتمشي تعرج، ابقي روح لدكتور.

ثم ضحك هو ودسوس عليه.

حينها طار جرياص وأحضر تابوتًا لجني، وأخذ رقه من عليه بعدما وضعه على الأرض وكتبه في الورقة المرسوم بها جابير، ثم قال له:

- نام.

جابير:

- أنام هنا؟

شفعان:

- ايوه يا عم، نام هنا.

دسوس:

- اخلص.

وضع جابير رجله داخل التابوت، ثم نام.

شفعان:

- بصمت؟

فردّ جابير وهو نائم:

- لأ لسه.

فظهر على وجه جرياص وشفعان الضيق، وأعطاه جرياص الورقة مجددًا بعد أن قام من التابوت وبصم بكل أصابعه الثمانية والعشرين، ثم عاد لينام في التابوت.

حينها نزل شفعان إلى فم الشخص الذي سيدخل جابير فيه وفتحه، وأمسك

علبة بها سائل أخضر، ووضع جزءً منها في فمه، ثم ذهب ناحية جابير وقال له:

- افتح بقك.

جابير:

- ليه؟

- ياعم اخلص.

ففتح جابير فمه؛ فوضع له شفعان السائل فيه، وأغمض جابير عينه، ثم قال:

- أنا مدخلتش ليه؟

ثم قال جرياص:

- مستعجل على ايه مهياش حاجة تبسط.

وأخرج قماشتين من جيبه وبللهما بسائل أخرجه من زجاجة من جيبه الآخر وأعطى شفعان واحدةً، ثم نزل بقماشته حتى فم جابير وشدّه كله للخلف بقوة، وأخذ جابير المكبل بالحديد من يده ورجله يتحرك؛ ليخلص نفسه، بينما قام شفعان بفعل نفس الحركة مع الجثة حتى أصبحت الجثة تتحرك وتزيد الحركة فيها وتقل في جسم جابير الذي بدأ يتحول إلى جثة وانتهت حركاته تقريبًا، وظلت الجثة تتحرك في يد شفعان حتى انتهت حركة جسم جابير، وسأل شفعان جرياص:

- جه كله؟

وظل جرياص يشدّ فم جابير للخلف، بينما تشاهد آية المظهر وهي مذبهلة.

حتي قال جرياص:

- اه سيبه.

فترك شفعان الجثة التي دخلها جابير، وأخذ جابير يكح وهو في الجثة فقام جرياص بتغطية تابوت جابير بعد أن وضع الورق فيها ما عدا الورقة التي أتى بها دسوس، ثم طار ووضعه في مكانه، بينما أخذ جابير وهو داخل الجثة يكح بشدة، ثم قام من مكانه وهو عريان، بينما نظرت آية في الناحية الأخرى وأعطته الجلابية البني ليرتديها فأخذها منها وارتداها، وسأل:

- ايه اللي عملتوه فيا ده؟!

فأجابه شفعان:

- أنت مش داخل جثة واحد ميت.

جرياص:

- خلي بالك عمرك ماهتعرف تخرج من اللي أنت فيه ده، فتحاولش.

جابير:

- امال أنا مفروض اخرج ازاي واجي اخد جسمي؟!

جرياص:

- هتجيلي برجلك احطلك روحك في جسمك ولو عرفت تيجي بروحك بس من غير الجسم اللي أنت فيه...

حينها ضحك دسوس، وأكمل جرياص:

- هديك جسمك.

دسوس:

- يجي بروحوه ايه ياعم، هيبقي روح ماشيه كده في الهوا لوحدها!

فسألت آية:

- خلاص احنا كده؟

فأجابها جرياص:

- مش تعرفوا الجثة اللي معاكوا دي ايه.

آية:

- ايه؟

جرياص وهو يقرأ من الورقة:

- مصريٌ من المنصورة، محكومٌ عليه بالإعدام، هرب من السجن في أحداث 25 يناير وراح اسكندرية اللجان الشعبية في كرموز وقفوه ملقوش معاه بطاقة، حاول يهرب ضربوه رصاصة في رجله، وجري ناحية البحر وغرق.

نظر إليه جرياص بعد أن فرغ من القراءة:

- شويه وهتحس إن رجلك بتوجعك لما تيجي تمشي عليها. معكش بطاقة لو وقفت في كمين هتتاخد، وماتروحش المنصورة علشان انت قاتل اتنين هناك.

نظر جابير وهو داخل هذا الشخص إلى آية بغضبٍ شديد وكان يريد قتلها، فقالت:

- خلي بالك أنت مش طيّار دلوقتي فبالراحة على نفسك احنا طالعين فوق والبلد بلدي.

ثم قال له شفعان:

- ماتحاولش تهرب لو معرفتش تنفذ المهمة علشان حراس الأرض

هيجبوك وهيلعبوا بيك ومش هيسلموك هيفضلوا يعذبوا فيك علشان عارفين إن أنت طيار وكنت بتوريهم الويل ومحدش كان بيعرف يمسكك هيخلوك تتمنى تنزل تحت وتقضي عقوبتك ومش هينولهالك الحق، نفذ حكمك، امشي.

وحينها تحرك جابير هو وآية ناحية الباب وبعد أول خطوتين اشتكى من رجله وتأوه، ثم سمع صوت جرياص:

- اللي أنت فيه ده اسمه مصطفى شاهين العربي.

خرجت آية هي وجابير الذي يظهر عليه الحزن وهو في ذلك الجسم مرتديًا تلك الجلابية، ويشعر بألم في ساقه اليمنى، ويسحبها خلفه إلى البهو، ثم ركبوا عربة تجرها الكلاب حتى وصلوا إلى السكة، والسكة هي المدخل بين عالم الجن والإنس، وهي موجودة في مقابر مصر القديمة الموجودة على يمين الاتوستراد وصولًا إلى الفسطاط، ليست سكة واحدة، بل عدة سكك تصل ما بين عالم الجن والإنس.

خرج جابير وآية من إحدى القبور أو السكك التي يحرسها حراس السكة؛ كي لا ينزل فيها الإنس بدون تصريح فالدخول بتلاوة آيات قرآنية، ثم بالتعريف بنفسك وسبب نزولك، أما الخروج فهو بدون أي شيء. ساروا في شارع حالكِ السواد، وتكلمت آية:

- أنا جبت ورق الحالة بتاع الشخص، بص يا سيدي، هو اتجوز في شقة فيها جن وكان هو ومراته في الحمام فقفل الجن عليهم الباب، وسرب

البخار بتاع السخان علشان يموتهم ويسيبوا الشقة فقعد يحاول يفتح الباب ويخرج معرفش وبردوا يفتح الشباك لحد ما وقع هو ومراته في الحمام لحد ما الجيران نزلولهم، المهم لحقوه وهي ماتت.

جابير:

- طب وده أنا أعمله ايه؟!

- سبني أكمل بس، معدش بيكلم حد وفضل قاعد في الشقة لوحده، الشقة اللي فيها الجن؛ فمسوه أكتر وخلوه يمشي يكلم نفسه فساب الشقة وراح قعد مع أهله وبقوا يقعدوا في جلسات مع شيوخ ويضرب بالشبشب على راسه من الشيخ، عارف أنت القصة الحمضانة دي ويروح لدكاترة نفسيين، المهم حراس الأرض قبضوا على الجن اللي مسوا ودلوقتي الناس بتقول عليه إن هو أهبل وأبوه وأمه ماتوا وبيقعد يتنقل بين شقق إخواته البنات علشان معدش بيعرف يعيش لوحده، وطبعًا محدش طايقة غير إنه له جلسة مع معالج روحاني كل شهر يفضل يضرب فيها..

- طب وده أنا هرجعله حياته ازاي؟ أعمله ايه؟!

ونظر جابير إلى السماء.

آية:

- مكتوب في الورق إن هو معدش بيحس ولا بيضحك ولا بيعيط، لو ضحك ضحكة من قلبه أو عيط، حياته هتتغير.

- وأنا هروح أقلهم ايه؟ ضحك، يقلولي فين، ولا لازم أجيب الحرس

يشوفوه وهو بيضحك؟

- لأ أنت الإزازة اللي أنت شربتها في الأول دي بيبقى مكتوب علي كان جواها عمل لو هو ضحك أو عيط تتفك منه.

- وبعدين أنزل آخد جسمي؟

- تقريبا اه.

- طب وأنا هعرف منين؟ هروحلهم يقولولي آه اتفكت، ولا لسه استنى شويه؟

- ما احنا أكيد هنشوف ده بعنينا يعني.

الدخان يملأ المكان ورائحة البخور تُشم من أول شارع الثلاثيني إذا لم تشم من شارع الهرم الرئيسي، يُسمي نفسه معالج روحاني، يفهم في أمور الجن الكثير، ويستطيع التعامل معهم بسهولة شديدة، وإخراجهم في الحال رغم أنه أتى لمنزل شيماء أخت فؤاد عشرات المرات؛ ليخرج العفريت الكائن في جسم فؤاد الذي يجعله يفعل أشياء وهو لا يدركها. جلس بوجهه المكرمش وشعره الأبيض أمام فؤاد الثلاثيني الذي أدركه الشباب من فترة حتى نمى له شعرٌ أبيض، أمسكَ يدَ فؤاد اليمنى، وأخذ يردد:

- الألف للإعفاء، والباء للبعد، والتاء للتنافر...

كانت الصالة في منزل شيماء بها انتريه يجلس عليه فؤاد والمعالج الروحاني المدعو الشيخ شريف، وتقف بجوراهم شيماء أخت فؤاد الكبرى عند أول الصالة ترتدي عباءتها الكحلي وتضع اشربًا على رأسها، يتزحزح فتعيده للأمام فهي لم تربطه، ويقف خلفها ابنها الصغير خالد وهو في أولى ابتدائي ينظر إلى الرجل وهو يمسك يدَ خاله ويضحك بشدة ويكتم ضحكته فهو من المفروض ألا يكون موجودًا في الصالة، فأمه تمنعه عن الخروج في ذلك الوقت، لكن لهفة أمه على أخيها الذي لا يشعر بشيءٍ وهو ينظر في عين هذا المعالج الروحاني دون أي تعابير، فوجهه لا يبدو عليه أي تعابير سوى التجهم جعلتها لا ترى خالدًا. أما زوج شيماء سمير فهو في البلكونة التي تؤدي إلى الصالة، يشرب سيجارة، ويشاهد

البنات السائرين في الشارع، فالشقة في الدور الأول العلوي يحب جدًا مشاهدة الفتيات من منظر علوي لصدورهم ومؤخراتهم ولا يعاكسهم إلا إذا كانت شيماء غير موجودة في البيت. استمر خالد في الضحك على المعالج وهو واضع يده على فمه، ثم عندما قام المعالج بوضع يده اليسرى على جبهة خاله، وقال:

- هيا هيا.

فقال خالد بعد أن أنزل يديه من على فمه:

- الظهور لعائلة الوكيل، الظهور..

ولم يكمل حتى التفتت له أمه وضربته، فدخل إلى غرفته يجري، بينما توقف المعالج، ونظر إلى شيماء بغير رضا، فقالت شيماء:

- معلش يا شيخ شريف.

- مينفعش يا مدام طفل زي ده يبقى واقف في الجلسة.

منظر سمير وهو في البلكونة ودخان البخور يخرج من خلفه يجعل المارة ينظرون إليه، نظرت فتاتان في الثانوية عائدتين من الدرس إلى الدخان وإلى سمير الذي يرتدي الجلابية وبيده السيجارة، فنظر إليهما هو الآخر، وبدأ يحرك وجهه ويبتسم فضحكوا عليه وأكملوا طريقهم.

عاد الشيخ شريف إلى الكلام الذي يقوله وهو يمسك يد فؤاد اليمنى، بينما أحضرت له شيماء كوبًا من الشاي ووضعته أمامه، فنظر إليه ولم يلتفت ولم يقل شكرًا، فقالت شيماء:

- اجبلك بيبسي؟

فنظر لها المعالج:

- والله مش عايز اتقل عليكوا.

- لأ ولاتتقل ولا حاجة هجبلك بيبسي.

ثم عادت إلى الداخل وتركت الشاي مكانه وندهت على خالد:

- واد ياخالد.

فحضر خالد ووقف تحت رجلها، وقال لها:

- نعم.

- انزل هات إزازه بيبسي من عمك صبري على الحساب.

- وأنا كمان عايز واحدة.

- لأ أنت سنانك بايظة، الدكتور قال ماتشربش بيبسي.

- طب آخد الحبة اللي بيفوروا في أول الكوباية.

فظهرت علامات الضيق على وجه شيماء، وقالت:

- لأ قلتلك أنت عيان امشي اتجر ياله انزل هات الإزازة.

- مش جايب إلا أما آخد الحبة اللي فوق.

- طب انزل هات.

فأخذ يهلل ويقول:

- هيه هيه

ولبس الشبشب ونزل إلى الشارع.

انتهى المعالج الروحاني من الجلسة مع فؤاد بعد أن شرب ثلاثة شاي وإزازة بيبسي بدون الحبة اللي بيفوروا في أول الكوباية، وأخذ أربعين جنيهًا وخرج.

كانت الجلسات على حساب شيماء، فشيماء الأخت الكبرى لفؤاد وتحبه وترعاه كابنها، لكن زوجها لا يطيقه؛ لأنه في وجهة نظره مجنون، ويغلق شقته ويتنقل بين شقق إخواته البنات، شيماء ورجاء وإيمان،

لكن شيماء لها كلمتها في المنزل فهي عندها حضانة ولديها دخلها من الحضانة التي يرتادها عددٌ كبير من الأطفال؛ لذلك لا يعترض كثيرًا على وجود فؤاد في البيت. وفؤاد كان يعمل مع والده في تصليح الساعات وبيعها، لكن وفاة والده وما حدث له أدى إلا تأجير المحل الموجود عليه اسم والده مقابل ألف جنيه، وترك الشقة التي اشتراها لنفسه وتزوج فيها؛ لأن بها جنًّا.

جلس جابير في مكتب آية على كرسي جلدي يشعر بألم في رجله اليمنى لايعرف ماذا سيفعل فيها، بينما دخلت آية إلى الحمام وأخذت تعدل في طرحتها أمام المرآة وتعدل في الكحل الذي يحيط عينيها العسليتين بيديها، وتهوي على وجهها، ثم أخرجت من شنطتها المحروقة علبة كريم فتحتها ووضعت منها على وجهها، ثم فردت الكريم على وجهها وأخذت تتأمل أسنانها، وقالت وهي تنظر في المرآة:

- يارب ما احتاج للحمار اللي بره ده.
- ثم خرجت من الحمام إلى طرقة صغيرة ثم إلى الصالة التي يجلس فيها جابير على ذلك الكرسي، وبجواره الباب المفتوح وقفت آية أمام جابير، وقالت:
- ياللا علشان نروح لمحمد يشفلك رجلك.

جابير:

- محمد مين؟

آية:

- قوم بس دكتور محمد اللي جنبي.

جابير:

- مش ده دكتور أسنان:

آية:

- اه.

جابير:

- طب وهيعالج الرجل دي ازاي؟!

آية:

- هيغيرلك على الجرح ياسيدي قوم بقى.

قام جابير من مكانه وتحرك هو وآية خارج المكتب، وأغلقت آية الباب، وأخذت تمرن وجهها على الابتسامة، وقالت لجابير:

- أنت جوز بنت خالتي وحراميه طلعواعليك ضربوك بالرصاص وسرقوا منك كل حاجة.

دخلوا إلى الشقة فوجدوا محمد يجلس وحده في العيادة يرتدي البالطو الأبيض، يشاهد مباراة كرة قدم في التليفزيون.

قال لها جابير بصوتٍ ضعيف لم يجعل محمد يلتفت إليهم:

- هو ده محمد؟

- اسكت.

محمد في الأربعينات، أسمر، له خصل بيضاء قليلة في شعر رأسه الأسمر، أما في ذقنه فهي منتشرة بشدة.

التفت محمد لهما وقام من مكانه، بينما وقفت آية كأنها تلميذة في ابتدائي مبتسمة جدًا له، لا تعرف ماذا تقول استقبلهم محمد بابتسامة وقال:

- أهلًا اتفضلوا.

فأشارت آية بكسوف طالبة في إعدادي على مكتبها وقالت:

- مش عارفني أنا مكتبي اللي جنبك هنا.

- فنظر محمد إلى الباب ليلاحظ مكتبها، بينما نظر جابير إليها وهو فاتح فمه، وردّ محمد:

- آه طبعًا، أستاذة آية.

فضحكت آية كطالبة ثانوي ولم ترد، وظلت ساكتة وهي تنظر لمحمد، لكن جابير أيقظها بضربة خفيفة؛ فقالت آية:

- معلش احنا هنستأذنك في حاجة مصطفى جوز اختي، البلطجية طلعوا عليه وسرقوا عربيتوا وحاجته وضربوه برصاصة.

ففتح محمد عينه عن آخرها ونظر إلى جابير الذي يقف بجوار آية، واقترب منه وطلب منه أن يجلس فجلس جابير، وطلب منه أن يريه مكان الرصاصة فرفع الجلابية؛ ليكشف له عن جرح قديم لونه أخضر، فزع محمد لرؤيته لكن آية لم تكن تنظر إلا لمحمد، سأله محمد:

- أنت خدت الرصاصة دي أمتي؟

لم يستطيع جابير الإجابة، لكن آية أخبرته أن هذا حدثَ من مدة، وبدأ محمد في إخراج الأدوات، وأخذ يحاول فعل أي شيءٍ لجابير، بينما يتألم جابير وتبتسم آية لرؤية محمد.

انتهى محمد من التعامل مع رجل جابير وربطها له، وطلب منه أن يذهب لمستشفى، ورفض أن يأخذ أي مال وعادوا إلى المكتب وتركوا الباب مفتوحًا،

جلس جابير على نفس الكرسي، بينما جلست آية على مكتب في الصالة تستطيع أن ترى منه باب عيادة محمد.

جابير:

- أنا هروح ازاي للواد ده؟

ردت آية وهي تعيد نظرها من ناحية باب الشقة إلى جابير:

- بص ياسيدي..

وفتحت الشنطة ووضعت يدها على السجائر وأخرجتها، وجدتها محروقة:

- شوف أنت عملت ايه في السجاير، المهم أنت هتبات هنا النهاردة، وأنا هروح أنام في بيتنا.

- أنتي ساكنه فين؟

- مدينه نصر.

- أنت عايشة لوحدك.

- اه وخلاص مش هتحقق معايا.

- ما براحة على نفسك .

قامت آية من مكانها ونظرت إلى جابير وهو جالس على الكرسي.

- لأ.. نحط النقط على الحروف، مبدئيًا كده أنت بني آدم مش جني، تاني حاجة عليك حكم بالإعدام، تالت حاجة عمي في الداخلية ومش هكلمه

وهي تحرك إصبعها يمينًا ويسارًا:

- هكلم الجيش هقلهم إن أنت حاولت تغتصبني هيخدوك وحكم

عسكري في يومين ومش هتستني ال 14 يوم بتوعك علشان تموت، فاهم؟

- طب والوله اللي بتحبيه ده؟

أخذت نفسها وقالت:

- والله هو ده اللي مستحملاك علشانه، فايه.. اتك على عقلك وبراحة، أنت هتنام هنا، والصبح هقلك أنا فكرت في ايه.

سمعت آية صوت باب عيادة محمد يغلق، فخرجت إلى خارج الشقة وشاهدته وهو يمشي وأشارت له فسلّم عليها من بعيد، وقال:

- لازم يروح مستشفى.

- حاضر مع السلامة يا دوكتر.

عادت إلى الشقة، نظر لها جابير وإلى علامات وجهها السعيدة واستغربها بشدة.

لا ينام كثير من الناس وأعينهم مفتوحة، لكن فؤاد ينام وعيناه مفتوحتان، دخلت شيماء الغرفة التي يرقد بها فؤاد وجلست على السرير، بينما هو نائم على ظهره ينظر إلى سقف الغرفة، أمسكت ذراعه اليمنى بيدها اليمنى وبدأت تكلمه:

- فؤاد، فؤاد، أنت صاحي يا فؤاد؟

ردّ فؤاد عليها دون أن يحرك عينيه المفتوحتين عن آخرهما:

- في ايه عايزة ايه؟
- أنت صاحي ولا نايم؟
- صاحي ولا نايم أنتي عايزة ايه؟
- طب بصلي اعدل ضهرك وبصلي.

حينها حرّك فؤاد عينيه ونظر إلى شيماء التي لم تكن ترتدي الايشارب، فانسدل شعرها الأسمر على وجهها الأبيض؛ ليعطيها منظرًا جماليًا لا تظهر به كثيرًا.

- عايزة ايه؟
- في ناس اتكلموا عايزين يأجروا الشقة.
- وأنا أعمل ايه؟
- ياعم هي مش شقتك!

- كده كده هيعرفوا إنها مسكونة وهيطخخونا مشوار لحد دار السلام
- على الفاضي.
- ياعم مايمكن يأجروها دول عايزين يأجروها مفروش.
- لو انتين متجوزين جداد لأ.
- لأ ده واحد مغترب.
- طالب؟
- ياعم معرفش تقريبًا بيشتغل هنا.
- طب دول كلموكي ازاي؟
- معرفش تقريبًا سألوا في الحتة على شقة فادولهم رقمي، قوم بقى، وأمسكته من ذراعه بقوة وشدته كي يقوم فقام فؤاد وعدل نفسه ونظر في عين أخته، فقبلته على خده.
- اضحك بقى، نفسي تتضحك يالا قوم علشان تتغدى، هنقابلهم المغرب.
- لأ مش هخش الشقة دي بالليل.
- ياعم الشقة مفهاش حاجة احنا مش صارفينهم منها، يالا بقى، وسمير جاي معانا يمكن تعجبهم ويشتروها قوم ياحبيبي يالا.

أمام مستشفى (أبو الريش التخصصي) ظهرًا تقف آية ومعها جابير بعد أن قاموا بالكشف على جرحه في المستشفى، وأخبروه أنهم لن يستطيعوا إخراج الرصاصة من رجله وخيطوا له الجرح. أوقفت آية تاكسي وقالت لجابير الذي ارتدى قميص وبنطلون أحضرتهم له.

- قولوا جسر السويس.

انحنى جابير ورجله تألمه، وقال للسائق:

- جسر السويس.

فأشار له بالرفض وأكمل طريقه.

ثم أتى تاكسي آخر فأشارت آية وانحنى جابير وقال للسائق الذي رفض أيضًا واعتدل جابير ووقف بجوار آية ورجله تألمه وقال لها:

- أنا كنت بلف العالم في 11 ثانية، بطلع القمر في نص دقيقة يتعمل فيا كده!

قالت آية وهي تعدل طرحتها للخلف وتنظر في اتجاه التاكسيات:

- احمد ربنا، أنت كان عليك 300 سنة.

فنظر جابير لها وقال:

- هو أنا مش لو كنت جبت محامي كنت خدت عشر سنين ورجعت

طيار تاني..

ورفع صوته ونظر إليها بقوة:

- بدل ما اللي أنتي عاملاه فيا ده.

فنظرت له ببرود، وقالت:

- قلتلك عمي في الداخلية، ومش هكلمه هكلم الجيش اهدى.

وأشارت لتاكسي فوقف وضربت جابير في جنبه كي ينحني ويخبر السائق فانحنى، وأخبره فوافق السائق وركبوا هم الاثنان في الخلف؛ لوجود شاب في الكرسي الأمامي؛ دخلت آية أولاً ثم دخل جابير، ثم بدأت بالكلام مع جابير، قائلة:

- أنا كلمتهم وقلتلهم إن احنا جايين نشوف الشقة.

- كلمتي مين؟

فنظرت آية إليه بغضب؛ كي يركز، وقالت ببطء:

- كلمت الرجل اللي أنت رايحله، كلمت أخته.

واقترب جابير من آية وتكلما بهدوء:

- هنشوف الشقة ازاي؟

- على إننا هنأجرها وأنا معايا شويه بخور وحاجات لو لقينا حد ساكنها

- نطلعهم ونفهمهم إن أنت معالج روحاني...

- بس أنا مش معالج روحاني!

- ياعم أنت مش كنت بتشتغل مع واحد وفاهم الليلة.

- يعني مش قوي.

- أهم حاجة تبهرهم، هتعرف تطلع اللي موجودين في الشقة ولا اتعامل أنا؟

فقال جابير بثقة:

- أكيد يعني.

- طب يقوموا بقا يطلبوا منك تعالجه، وتقعدوا مع بعض، وتقولوا شويه نكت، وترجع طيار، وتخلي محمد يتجوزني، أنا زهقت.

- ماشي بس لو ملقناش حد في الشقة؟

- تعرف تجيب حد؟

- احنا هنقابلهم امتى؟

- النهاردة المغرب.

- ملحقش طبعًا أنت شايفة المواصلات عاملة ازاي.

- خلاص إن شاء الله هنلاقي.

يمتلك سمير زوج شيماء الذي يعمل مدرس ألماني عربية بيتلز موديل السبعينات، وصل هو وزوجته وفؤاد في تلك العربية إلى شقة دار السلام، أقفوا السيارة أسفل المنزل، وخرجوا منها جميعًا وأغلقوها. وهمت شيماء بالصعود هي وزوجها، لكن فؤاد لم يتحرك من مكانه؛ فعادت له شيماء وهو يركن على تلك السيارة، ووضعت يدها على رأسه وقالت له:

- يالا.

- لأ.

- هو ايه اللي لأ يافؤاد يالا.

- أنا مش هطلع الشقة دي.

- يعني أنت جاي لغاية هنا وتقولي مش هطلع! طب جيت معايا ليه من الأول؟!

- علشان أنتي اللي قلتيلي آجي.

حينها مرّ طفلان في المرحلة الابتدائية بجوارهم من الناحية الأخرى من السيارة، وقال أحدهم للآخر:

- وله فؤاد المجنون اهو.

حينها نظرت شيماء إليه بكل غضبٍ، واتجهت نحوه وفتحت فمها لتخرج وابلًا من الشتائم؛ فجرى الطفلان.

- ياله يالي أمك مربتش، ياواطي يابن الواطي أنت وهو، لو أنت رجل أقف ياله.

حينها كان يضع فؤاد يده على وجهه واتجه نحو مدخل العمارة، بينما خرج سمير وفي فمه السيجارة، وسحب زوجته ناحية مدخل العمارة، وأخذ يهدئها وهي ثائرة حتى رنّ هاتفها، فهدأت قليلًا وأخرجته من الشنطة فوجدت آية على الطرف الآخر تخبرهم أنهم وصلوا إلى العنوان.

نزلت آية من التاكسي هي وجابير، وخرجت شيماء من العمارة لاستقبالهم وسلّمت على آية، حينها خرج سمير من المدخل وتفقد كل جوارح آية، وأخذ يتلذذ في النظر على كل جزء فيها، وقال بصوت ضعيف:

- هي دي الأجسام يابه، ياهوي.

بالفعل آية جسمها جامد فصدرها كبير ومؤخرتها كبيرة، ولكن ليست كبيرة بفظاظة، ومع بياض وجهها وعيناها العسليتان تجعلك تريدها بشدة. دخلوا جميعًا إلى مدخل العمارة حينها التقت عين جابير بعين من سيعيده طيارًا، أو سيجعله يسجن ل ٣٠٠ عام.

سلّموا جميعًا على بعض، وحركت آية رأسها لتسلّم على فؤاد الذي لاحظت أن وجهه صورةٌ ثابتةٌ لا تضحك ولا تحزن كأنه مربوط ببعضه!

بينما لاحظت على وجه سمير ابتسامة معاكسة وإعجاب، ولكنها لم تُعيره أي انتباهٍ، واتجهوا جميعًا ناحية الشقة الموجودة في الدور الرابع، يتأخر فؤاد بشدةٍ،

لكن ربط يد أخته شيماء على يده وسحبها له هو ما يجعله يصعد غصبًا عنه.

فتح سمير القفل الموجود على الشقة، وأخرجه من مكانه، ثم بحث عن مفتاح آخر وفتح به الباب، دخلوا جميعًا إلى الشقة ولم يدخل فؤاد إلا بعد أن أضاء سمير نور الشقة كله.

سألت شيماء آية:

- أنتوا عايزينها مفروش إن شاء الله؟

كانت الشقة مفروشة بالعفش الذي تزوج عليه فؤاد ما عدا الأشياء التي اشترتها العروسة فقد أخذها أهلها.

ردّت آية:

- اه إن شاء الله.

قال سمير في سره:

- شرشر شرشر يعني.

اقتربت آية من أذن جابير وقالت له:

- شايف حد؟

الشقة غرفتان وصالة كبيرة؛ غرفة النوم مفروشة، والغرفة الأخرى خالية، والصالة بها انتريه وسجادة وتليفزيون، والمطبخ لا يوجد به أي شيء.

ردّ جابير:

- هو أنا هشوف ازاي وأنا في الجسم ده!

فنظرت له آية باستغرابٍ وقالت:

- امال هنعرف ازاي؟!

- معرفش أنا ممكن أبدأ اطلع لو فيه، بس ما أقدرش أعرف إذا كان فيه ولا لأ.

حينها أنطفأ نور الشقة كله فاقترب فؤاد من شيماء، أما سمير فأخذ يذهب في اتجاه آية وجابير.

فؤاد:

- في ايه؟

شيماء:

- شوف كده السكينة يا سمير.

خبط سمير في آية من الخلف وعاد لرؤية السكينة حينها قالت آية، وهي تعلم أن سمير هو الفاعل:

- لأ مش أنا اللي يتخبط فيا أنا آية الشرقاوي المحامية.

فرفع سمير السكينة ومثّل أنه لم يفعل شيئًا وقال:

- تفتكروا مين اللي نزل السكينة؟!

فنظرت له آية بترقبٍ، وحينها انطفأ النور مجددًا وأُغلِق الباب، فأصاب الهلعُ فؤاد، حينما رفع سمير السكينة، وظلّ النور مقطوعًا، وأخذ يقول لأخته وهي تمسك يده:

- أنا عايز اطلع من هنا، أنا عايز اطلع من هنا.

فقالت آية:

- اهدوا يا جماعة، أستاذ مصطفى معالج روحاني وبيعرف يتعامل مع

الحاجات دي خليه يهدى، وأنت متقربش مني (تكلم سمير).

ثم أخرجت كيسة من شنطتها، ومدت يدها لتعطيها لجابير في الظلام، لكنها لم تجده بجوارها، وأخذت شيماء تُهدِئ أخيها وتقول له:

- ماتخافش لو خرجت من هنا هيمسوك لازم تقف جنبي.

ثم سمعوا صوت تخبيط على جدران الشقة بقوة، وكان جابير الذي يخبط ثم قال:

- أنا جابير رقيم الأشعم جني طيار مسلم أمي من النصيبين يعني عرقي عرق أشراف، أنت أو أنتوا كنتوا كام في الشقة قدامكوا حاجة من الاتنين، يا أما تخرجوا وتقيدوا النور وتفتحوا الباب قبل ماتخرجوا وماتجوش هنا تاني وساعتها هسيبكم، يا أما هحرقكم بتعاويذ سليمان، هعد لحد عشرة.

حينها أمسك فؤاد يد شيماء بقوة، وأخذ يطلب منها أن يخرج بينما يعد جابير:

- واحد، اتنين، تلاتة، أربعة، خمسة، ستة، سبعة، تمانية...

هدأ قليلًا ثم قال:

- تسعة، عشرة.

حينها كانت تليفونات سمير وشيماء وآية مضاءة وهو ما طمأن فؤاد وخطف بصره.

خبط جابير على الجدار بقوة، ثم قال:

- خالق الخلق يا الله، يا من لا إله سواه، أتانا جني ظنّ نفسه محصنًا

بإبليس لا يعلم يا الله أنك الرب والمعين والمغيث، ظنّ نفسَه هو وسيده أقوى منك.

فبدأت الأبواب تخبط، حينها فقد فؤاد وعيه تمامًا، وتوقف سمير عن محاولاته لفتح الباب، وأكمل جابير:

- العفو والسماح يا رب الكون، نستنجد بك في هذا اليوم أن تحرق هذا الجني حرق الكفار في النار، وتخلصنا مما لا نراه نحن الأخيار،

حينها أصبح سقف الشقة كله مشتعلًا، والنار تتساقط من السقف على الأرض.

حملت شيماء أخيها الراقد على الأرض بجسمها، بينما فقد زوجها وعيه هو الآخر، وكانت آية تشاهد المنظر وتتمتع بقوة جابير.

أكمل جابير:

- اللهم لا تعيدهم إلى الحياة، واجعلهم حطبًا للنار، اللهم اجعلهم حطبًا للنار، اللهم اجعلهم حطبًا للنار.

بدأت آية في إخماد النيران في الصالة بمفرش كان موجودًا على ترابيزة، بينما دخل جابير إلى الغرف وظلّ يردّد:

- اللهم اجعلهم حطبًا للنار، اللهم اجعلهم حطبا للنار.

وظلّ يتنقل بين الغرف ودخل المطبخ ووقف أمام باب الحمام، وأخذ يردّد من بعيد:

- اللهم اجعلهم حطبًا للنار، اللهم اجعلهم حطبًا للنار.

ودخل غرفة النوم وأخذ بطانية وأعطاها لآية، ثم دخل وأخذ أخرى حينها

عاد النور من جديد، وأخذوا يخمدوا النيران حتى انتهوا من إخمادها وفتحت آية الشبابيك، وبدأ سمير يفوق أما شيماء فشاهدت كل شيء في خوف وهي الآن تحاول أن تفوق أخيها وتقول له وهي سعيدة ولا تصدق أي شيء وتبكي:

- انحرقوا انحرقوا، قوم يا فؤاد انحرقوا ياحبيبي والله.

وتحضنه وتفيقه، وكانت الشقة معبأة بالدخان فذهبت آية ناحية الباب، ودفعت سمير برجلها حيث كان يجلس خلف الباب وفتحت هي الباب وتحرك سمير ولم يقل أي شيء، وأحضرت آية كوبًا به ماء وأعطته لشيماء، فسقته لأخيها الذي فاق، وأخذت تمشي يدها على يد أخيها وتقول:

- الحمد لله، الحمد لله، الله أكبر.

وعدلته وهو على الأرض لتجعله يسند ظهره إلى الجدار، ولاحظت حضور جابير من الغرفة إلى الصالة، فقامت من مكانها وجريت على يديه، وأخذت تقبلها بشدة، فأبعد جابير يديه بسرعة عنها، لكنها بكت:

- ربنا يحفظك يا سيدنا الشيخ، ربنا يزيدك يا رب، ربنا يديك يارب.

حينها ردّ جابير وهو يبعدها:

- خلاص خلاص.

واعتدلت في وقفتها أمام جابير، ولكنها كات تنظر إلى الأرض، وفي خوف شديد قالت:

- مش عارفة أقولك ايه يا سيدنا الشيخ، ده احنا تعبنا أوي.

وبدأت في البكاء، فقال لها جابير:

- خلاص يا ستي خلاص.

- أنا أخويه عيان ودوخت بيه، أبوس ايدك يا شيخ.

وحينها اقتربت من يد جابير لتقبلها وأكملت:

- تشوفه.

أخذ جابير يديه إلى الخلف مسرعًا وقال:

- خلاص خلاص هشوفه هشوفه.

طبطبت آية عليها وقالت لها:

- ماتخافيش هو هيعالجوا.

حينها بكت شيماء بقوة، وأخذت تقول وهي تبكي وتنظر إلى آية:

- والله تعبنا، وربنا تعبنا أوي وروحنا وجينا ونفسنا نشوفه يرجع حلو تاني.

فحضنتها آية وقالت لها:

- خلاص ماتخافيش، والله هو هيشفهولك.

- نظر جابير إلى مصيره وهو جالس على الأرض يسند ظهره على الجدار، ينظر إلى السقف ويتنفس بسرعة ويبدو عليه التعب وعرف أن المهمة القادمة أصعب فهو ليس عليه أي جني ليخرجه هو مجرد إنسان فقد حياته وعليه هو أن يعيده لها بضحكة من القلب أو ببكاء من القلب!

جلسوا جميعًا في الصالة بعد أن قامت شيماء وساعدتها آية في كنس التراب الناتج عن الحريق الموجود في الشقة، وشيماء حينها كانت تريد فعل أي شيء

لآية وجابي، بدأت آية في الكلام قائلة :

- أستاذ مصطفى عايز يأجر الشقة مفروشة لمدة أسبوعين، ومش هنمضي عقود ولا أي حاجة.

فردت شيماء متلهفة:

- أسبوعين بس! وليه كده ماتفضل قاعد فيها على طول يا شيخ، والله احنا ماعايزين حاجة، ولا هناخد إيجار، أنا عايزاك بس تشوف أخويه.

جابير وهو ينظر إلى فؤاد الذي لا تظهر أي علامات على وجهه: غضب، أو حزن، أو أي شيء!

- عنيه يا ستي بس خليه يجي يقعد معايا.

ردت شيماء بسرعة:

- ماشي موافقين، صح يا فؤاد؟

فحرك فؤاد رأسه بأنه موافق.

حينها سرقت آية نظرة لوجه سمير الذي أغمي عليه لتريه قدره الآن، فنظر سمير بكل خوف في الأرض، بينما رفعت آية حواجبها واستمتعت بالتعالي عليه، ثم قالت:

- خلاص يا أستاذ فؤاد حضرتك تيجي للشيخ مصطفى بكره الصبح.

فحرك فؤاد رأسه بالموافقة، وتعالت أصوات شيماء وهي تدعو للشيخ مصطفى، وقالت:

- الله يعمر بيتك، يا رب يكرمك واللي أنت عايزة، اللي أنت عايزة.

فردّت آية:

- لأ ياستي احنا مش هناخد حاجة.

فقالت شيماء:

- لأ والنبي ما ينفع هو أنا هابله.

فقال جابير:

- أنا مش هآخد منك فلوس يا ستي خلاص.

فرغمت شيماء على أمرها وقالت:

- طب أنا مش هآخد إيجار واقعد زي ما أنت عايز تقعد.

آية:

- هما أسبوعين إن شاء الله بس.

رحلت شيماء هي وأخوها وزوجها عن الشقة تاركين جابير وآية وحدهم فيها.

تقف آية في المطبخ وجابير يجلس في الصالة.

- هتعرف تعيش من غير ثلاجة؟

جابير من الصالة:

- . اه.

- . طب لما أجبلك أكل هتحطه فين؟

- . في أي حته أنا هاكل أي حاجة، أنا مش متعود على أكل البني آدمين ده أصلًا.

آية بعد أن خرجت من المطبخ:

- ما أنت لما تجوع وبطنك تاكلك، نفسك مش هتجيبك تاكل عظم ولا بتاع من التاني هتلاقي نفسك عايز تاكل أكل البني آدمين.

- هنزل أجيب أكل من الشارع.

نظرت آية في شنطتها وفتحتها وأخرجت خمسين جنيهًا، وأعطتها لجابير:

- خلي الفلوس دي معاك.

نظر جابير إلى الفلوس وشعر بالدور الذي تقوم به آية معه.

- مش عارف أقولك ايه والله؟

- ياعم امسك أنت هتمثل.

مدّ جابير يده وأخذ المبلغ.

- عايزين نتفق هتعمل ايه مع الوله ده.

- هكلمه كده اشوف دنيته عاملة ازاي وأحاول أعقله.

- لأ أنا مش عايزاك تبوظ الدنيا.

- أنا أبوظ الدنيا! لأ أنتي مش عارفة حاجة.

- يعني ايه؟ لو أنا سبتك لوحدك هتعرف تتعامل؟

- وفيها ايه دي يعني؟

- وهتعرف تخليه يرجع تاني يحس؟

- أشوف هو فيه ايه الأول وبعدين أحكم.

- خلاص ماشي براحتك.

قامت آية من مكانها راحلةً عن الشقة بعد توديع جابير حتى تراه مجددًا في الغد وقالت له:

- هبقي أجبلك الجلابية وأنا جايا معايا بكره.

بدأ جابير يتجول في الشقة، ينظر من البلكونة على الشارع الضيق، ثم يعود من جديد إلى الشقة قام بتشغيل التليفزيون الموجود في غرفة النوم، وذهب إلى المطبخ ليبحث عن أي شيء يأكله ولم يجد شيئًا فعاد مجددًا إلى الغرفة ليجد التليفزيون مغلقًا! شك جابير بوجود أحد آخر بالشقة فقال بصوتٍ عالٍ:

- مش هتكلم تاني أنا جابير رقيم الأشعم.

ولم ينهِ كلامه حتى وجد جنيًا أقصر منه يقف بجوار التيلفزيون، ولكنه ليس قزمًا، لون جلده أحمر باهت، أذناه مرتفعتان للأعلى، ويشبه الإنسان في باقي صفاته، يرتدي قطعة ملابس على خصره تغطي حتى فوق الركبة مصنوعة من الكتان، ويرتدي قطعة أخرى علوية تغطي صدره وبطنه مصنوعة من الكتان أيضًا، رأه جابير استغرب وقال:

- سونه؟

فاستغرب الجني سونه من هيئة جابير وهو في جسم إنسان وفتح عينيه عن آخرهما، حينها فتح جابير ذراعيه، فاقترب منه سونه قائلًا:

- جابير ايه اللي أنت فيه ده يا جابير؟!

وحضنا بعضًا بقوة، حينها قال جابير:

- واحشني يابن الفقريه، أخبارك ايه ياله؟
- أنا كويس والله بس ايه اللي انت فيه ده؟!
- هحكيلك هحكيلك واحشني ياد ووحشاني أيامك.

جلسا معًا في الصالة، وأخذ جابير يسرد له الحكاية من أولها وشرح له كل

شيء.

سونه:

- يعني أنا دلوقتي لو اختفيت مش هتشوفني؟
- أشوفك ازاي يا حمار، أنا في بني آدم.

فاختفي سونه حينها قال جابير:

- بس ممكن أحرقك.

فعاد سونه للظهور، وقال:

- لأ خلاص.

ياه ده احنا كنا بنتحاكى بيك والله، كان في ناس بتعملي حساب علشان أنا عارفك بس ايه اللي حصل في الدنيا ياجدعان!

- زمن.
- بس والله كويس إن أنت رجعت توبت تاني وسبتك من الشغل مع البني آدمين.
- وصية أمي ياسونه مش هعرف أخلفها.
- الله يرحمها والله كانت جنية طيبة وكانت الناس كلها بتحبها.
- الله يرحمها.
- طب أنت دلوقتي هتعمل ايه؟
- لو عرفت أرجع للبني آدم ده حياته خلاص هرجع طيار تاني.

ابتسم سونه فرحًا وقال:

- ياه ده يبقي يوم المنى، وترجع تاني تطلع القمر، إلا أنت صحيح كنت

بتشوف الملايكه وتجري جنب الشهب؟

- وأنا صغير بس كنا بنشوفهم بيطوفوا، كانوا بيطوفوا من فوق الكعبة لتحت العرش، أنت عارف طبعًا إن الحتة دي كلها طواف؟
- ايوه ياعم أنا عامل عمرة قبل كده.
- طفت فين؟
- أقولك: طفنا، كنا بسوا جبل أُحد، كنا أعلى منه، وكنا أعلى من كل المباني بس أنا عامل عمرة من زمان.
- هما بقى كانوا بيطوفوا بره الأرض، كانوا بيبدؤوا طواف من العتمة لحد فوق، وأنا صغير كنت بعرف اطلع العتمة، كنت بعدي من الأرض فكنت بشوفهم، بس لما كبرت معدوش بيظهرولي.
- طب وحوار الشهب ده؟
- ده وأنا صغير طلعت وفضلت أطلع ومكنتش فاهم إن ده غلط فكان في جني بيسترق فرجموه فلقيت شهاب جاي عليه فحرق عنيه وكان هيموتني فجه ملاك شالني كان ب 11 جناح، بس الحمد لله مهما كان غلطت لما كبرت عمري ما طلعت اسمع ولا مرة.

سونه كان يظهر عليه علامات التعجب لاستماعه كلام جابير، وقال:

- طب أنا أعملك ايه؟ أساعدك ازاي؟
- ماتقلش لحد على حكايتي وماتعرفش حد إن أنا هنا وماتجبش حد هنا.
- بس ده مش مكاني أصلًا دي شقة وفي ناس بتقعد فيها، وأنا ملقتش

مكان أبات فيه فقلت آجي أبات هنا وبعدين ملقتش حد غيرك.

- أنا حرقت كل اللي كانوا هنا، أنت تعرف حد منهم؟
- ياعم ولا يهمك.
- طب أنا مش عايز حد يجيلي هنا.
- خلاص شغل قرءان، و...

وسكت سونه ولم يكمل كلامه وقال لجابير بهدوء:

- بس أنا في حد مستنيه جايلي.
- طب لما يجي تساعدني وماتدخلش حد بعده.
- ماهو هيجي بكره.
- يعني اعمل ايه؟
- مش عارف أنا ممكن أقفل الشقة وأكتبلك على الجدران بدم الجمال
- آيات محدش يشفها غيرنا فمحدش يطيق يجي، بس صاحبي ده أنا مستنيه وخايف أعمل كده ميجيش. بص أنا قاعد لو حد جه هشوفه وهقلك تطلعه وبكره إن شاء الله هقفلك الشقة.

ونظر سونه إلى جابير وكأنه يتحايل عليه فوافق جابير، وظلا يتحدثان ثم نام جابير حتى أتى النهار وسمع خبط على الباب، فقام من على السرير بملابسه التي ما زال يرتديها من الأمس وذهب ناحية باب الشقة وفتحه فوجد أمامه فؤاد وبجواره أخته شيماء التي بدأت بالكلام مسرعة حينما وجدت علامات النوم على جابير:

- اسفه والله يا سيدنا الشيخ معرفش إن حضرتك نايم.

فردّ جابير وهو يفرك عينيه:

- لأ عادي مفيش مشكلة.

لم يلاحظ جابير الشنطة التي مع شيماء؛ لأنها كانت على الأرض، وعندما طلب منهم الدخول حملتها شيماء فرأها.

دخل جابير ناحية الحمام وغسل وجهه، بينما جلس فؤاد في الصالة وبدأت شيماء في فرد محتويات الشنطة على الترابيزة الصغيرة الموجودة بالصالة وكان بها غداء يتكون من أرز وبطاطس ولحمة وشوربه وحمام، خرج جابير من الحمام ونظر إلى الأكل الذي يظهر تحت إضاءة اللمبة النيون ونظر إلى الساعة الموجودة في الصالة وقال:

- في حد يتغدى الساعة عشرة؟!

فنظرت شيماء هي وفؤاد إلى الساعة ثم نظرت إلى جابير، وقالت:

- لأ دي الساعة واحدة.

لكن فؤاد ظل ينظر إلى الساعة وقامت شيماء من مكانها وقالت:

- أنت عايزني اقعد معاكوا ولا اخش أقف في المطبخ؟

فنظر جابير ناحية المطبخ وسمع صوتًا، فقال:

- لأ أنت تقعدي في أي مكان براحتك اتفضلي طبعًا، بس أحسن بعد الأكل نبقى أنا وفؤاد لوحدنا.

فقالت شيماء:

- خلاص انزل اقعد مع أم هاني لحد ماحضرتك تخلص اتفضل كل

علشان الأكل مايبردش، وفؤاد ماتغداش هيتغدى مع حضرتك، وأنا واكله، الحمدلله علشان ماتقولوليش تعالي كلي.

ثم نظرت إلى فؤاد وقالت:

- عايز حاجة يا فؤاد؟

فحرك فؤاد وجهه بالرفض ولم يقل أي شيء.

ذهب جابير ناحية الأكل وجلس بجوار فؤاد، وأمسك المعلقة وأمسك فؤاد معلقته فنظر إليه جابير وقال:

- سمي علشان محدش ياكل معاك من أكلك.

فقال فؤاد بغير نفس:

- هتفرق؟

- والله هتفرق في حاجات عنيك مابتشوفهاش بس هي بتحصل، سمي قول بسم الله الرحمن الرحيم.

فسمي فؤاد وسمي جابير وبدؤوا في الأكل وسمع جابير صوت خبط آخر، فبدأ فؤاد يقلق فقال له جابير:

- ماتقلقش كمل أكل أنا جايلك.

وقام من مكانه ودخل إلى المطبخ وقال:

- اطلع.

فظهر له سونه وبيده عظمة يأكل منها ويجلس على أرض المطبخ.

فقال له جابير:

- امشي دلوقتي ياسونه علشان اللي معايا.

- طب لو حد جه هتعرف منين خليني قاعد هنا ولو حد جه هعمل إشارة.
- طب أنت بتخبط ليه؟
- مفيش العظمة دي مليانة جلد وعايز سكينة أقشرها بيها.
- طب اقعد ساكت.

وعاد جابير للجلوس مع فؤاد الذي تظهر عليه علامات القلق، وعاد جابير ليأكل وقال لفؤاد:

- ماتاكل ياعم ماتقلقش مفيش حاجة.

وعاد فؤاد للأكل من جديد ونظر إلى الساعة التي لا تتحرك عقاربها، وسأله جابير:

- أنت مبتضحكش يا فؤاد؟

فنظر له فؤاد وقال:

- ازاي يعني؟
- مبتضحكش، مفيش حد بيضحكك؟
- عادي.
- آخر مرة ضحكت امتى؟
- مش فاكر عادي.
- طب تعرف تقولي نكتة؟
- لأ مش فاكر.
- عمرك شفت فيلم وعيطت؟

- اعيط ليه؟
- عادي يعني البطل مات مثلاً.
- لأ ميخلنيش اعيط.
- ايه أكتر فيلم بتحبه؟
- عادي مفيش حاجة يعني.

اعتدل جابير في جلسته وبدأ يركز مع فؤاد أكثر قليلًا، وقال له:

- ممكن تحكيلي إلى حصلك؟
- مش فاهم.
- مش أنت حصلتلك حادثة في الشقة هنا.
- اه عرفت منين؟
- بقولك معالج روحاني ياعم، ممكن تحكيلي اللي...
- لأ.
- ليه لأ أنت مش عايز تخف؟
- أنا مش عيان عشان أخف، ولو عيان أنت مش هتخففني أنا قاعد معاك علشان أختي متعدش تعيطلي لما أقولها لأ.
- طب أنت ياعم مش عيان وكل حاجة، بس أنا أعرف أخففك لو عيان.
- ولا بتعرف تعمل أي حاجة، شغل الاشتغالات ده أنا ياما كلت منه، والنار اللي ولعتها والكلام اللي أنت قلته هو أنا خفت بس، وأنا عارف إن أنت اللي بتعمل ده اشتغالات.

توقف جابير عن الأكل ونظر إلى فؤاد وقال له:

- يعني لو اقنعتك دلوقتي إن أنا كويس وبعرف أعمل حاجات هتفتحلي قلبك وتحكيلي على كل حاجة؟

نظر فؤاد إلى جابير وتوقف عن الأكل، وقال:

- هتقنعني ازاي أنا مش عايز اشتغالات وتحط ريحة في ايديك أشمها، وأنت بتلعبلي في وشي اتخدر أنا حافظ شغل الدجالين ده كله، فايهمش لازم توجع في دماغك، أختي مش معايا، وأنت مبتعرفش تخفف حد، وكده كده اللي أنت عايزة هتاخده متتعبش نفسك.

نظر جابير إلى فؤاد وكتم بداخله إحساس بالسعادة لأن دوره سيأتي وقال له:

- ياعم أنا مش هلمسك بس هقنعك إن أنا بعرف أعمل بجد مش شغل دجالين.

عاد فؤاد للأكل وقال:

- لو عرفت تشغل الساعة دي هصدقك.

فنظر جابير إلى فؤاد باستغراب وسأله:

- لو خليتلك الساعة دي تشتغل هتصدقني؟

- اه.

- طب ما أنا هجبلها بطارية وأشغلها.

- ياعم معاك لبكرة هاتلها بطارية ووديها عند سعاتي بس شغلها.

- أنت عامل فيها حاجة ولا ايه؟!

- ياعم ملكش فيه مش أنت ساحر وشيخ وبتاع؟

- طب هشغلهالك بس تستحمل؟

قال فؤاد وهو يأكل:

- استحمل ايه ياعم هو أنت هتطلع عفريت يصلحها؟

- هطلع عفريت نسأله يمكن يعرف حد يصحهالنا.

- ياعم ماتفكك بقي من اللي أنت فيه ده، عفزيت ايه وبتاع ايه أنت

- أخرك تطفي النور وترش اسبراي في الهوا وتولع نار وخلاص.

- ماشي ياعم هوريك إن أنا بعرف أطلع عفريت بس ماتخافش.

فؤاد:

- ياعم أنا مبخافش.

ثم نادي على سونه:

- يا سونه، يا سونه.

فلم يرد سونه، فقال له فؤاد:

- كان بودي اضحك عليك، بس أنا مليش نفس قول كده يا جامايكا يمكن يجي.

- طب ما أنت حلو اهو.

حضر سونه ووقف أمام جابير ولم يظهر له ثم شده من كتفه كي يلتفت إليه، ففزع جابير فنظر له فؤاد، وقال:

- وعاملي فيها شيخ ده انت بتركب الهوا ياعم.

- في ايه يا سونه أظهر ماتخافش.

فظهر سونه أمام جابير وفؤاد ففقد فؤاد وعيه وقال سونه:

- بتقولي اظهر ليه قدامو وهو جبان!

حينها خبط باب الشقة فقال جابير لسونه بينما يرقد فؤاد على الكنبة.

- اختفى أنت.

- طب أشغلك مين الأول؟

واختفى سونه، ثم عاد للظهور مجددًا وقال:

- في بت جامدة واقفة بره محجبة:

- طب اختفي أنت.

فاختفى سونه وذهب جابير ناحية الباب، ونظر من العين السحرية فوجد آية ففتح لها الباب، فدخلت وسلمت، ثم وجدت فؤاد ينام على الكنبة، فاتجهت ناحيته وسألت جابير:

- ماله ده نايم ولا ايه؟

- اغمى عليه.

- الله يخرب بيتك عملت فيه ايه؟!

- شاف جني.

فزعقت آية:

- وجبت جن هنا ليه؟! الله يخرب بيتك.

ووضعت يدها على وجه فؤاد وحاولت إفاقته؛ ففاق فؤاد ليجد آية في وجهه تقول له:

- قوم ماتخافش.

فقام فؤاد من على الكنبة وأراد أن يخرج من الشقة.

- أنا عايز أنزل.

فتوجه جابير إليه وقال له:

- ياعم مش أنت اللي قلتلي؟

فبعد فؤاد عنه وحاول أن يفتح الباب، لكن آية أوقفته وقالت له:

- ماتخافش ماتخافش يا فؤاد، هو بس عايز يفهمك إن الجن مبيخوفوش

- ودول عاديين زينا وممكن يخافو مننا.

- أنا عايز أنزل.

جابير:

- ياعم ماتخافش بقى طب اقعد اقعد والله وماتخاف.

آية:

- اقعد يا فؤاد ماتخافش.

فذهب فؤاد ليجلس وذهبت آية لتجلس بجواره وقالت له:

- ماتخافش خلاص بقى خد نفسك ماتخافش.

- هو ايه اللي أنا شفته ده؟

فأكملت آية بينما جلس جابير على كرسي أمامهم.

- مفيش ده عفريت صغنن، بس العفاريت دول في منهم طيب وفي شرير بس الاتنين بيخافوا من البني آدم.

فؤاد:

- والله؟

آية:

- ياعم أنت ماشفتش شركة المرعبين المحدودة كانوا بيخوفوا العيال بس هما اللي بيخافوا.
- شركة مرعبين ايه وبتاع ايه! أنا مليش دعوة أنا مش هاجي هنا تاني.

نظرت آية بضيق إلى جابير وحاولت أن تكتم غيظها، وذهبت ناحية جابير قفت أمامه وطلبت منه أن يقف وسألته بصوت منخفض:

- أنت وريته ايه؟
- عفريت ترابي.
- ووريتهوله له؟
- هو اللي قالي إن هو مبيخافش.
- وهو لو مبيخافش توريله عفريت ليه هو فين العفريت ده؟!
- هتلاقيه هنا في الشقة.
- طب روح اتنيل هاته ووقفه جنبك.

تحرك جابير بعيدًا عن آية، بينما تحركت آية لتجلس بجوار فؤاد وقالت له:

- بص، الشيخ مصطفى عايزك تنسى الخوف ويعلمك ماتخافش خالص من العفاريت، فاهم؟
- لأ مش فاهم هو راح فين أنا خايف وعايز أمشي، أنا عمري ماشفت عفريت قبل كده.
- ياعم ماتخافش والله.

عاد جابير للجلوس ونظر إلى فؤاد الذي شعر بأن هناك شيئًا مريبًا يحدث وقال:

- أنا عايز أنزل.

فردّت آية:

- ياعم تنزل تروح فين بس، ده أنا هعمل معاك خدمة العمر.
- هتعملي ايه؟
- هعرفك على عفريت.
- أنتي! في ايه؟
- لو عرفت عفريت هيعملك كل اللي أنت عايزة وحياتك هتبقى سهلة.
- لأ شكرًا، أنا عايز أنزل.
- طب العفريت اللي أنت شفته ده كان شكله ايه؟
- شكله وحش.

حينها تحرك شباك الحمام فشعر فؤاد بالخوف فنظرت آية لجابير وكشرت عن أنيابها، ثم عادت لفؤاد وقالت:

- بص يا فؤاد بالراحة كده، العفريت ده حاجة من الاتنين لهتتعرف عليه لاما هيمسك ويخلي حياتك وحشة، فأحسنلك اتعرف عليه دلوقتي.
- انتوا عايزني أتعرف عليه ليه؟

فقال جابير:

- علشان تعرف إن هما حاجة عادية مش زي ما أنت متصور، بص

سمي كده وقول بسم الله الرحمن الرحيم وهو مسلم هتلاقيه حلو وهيعجبك وبيفهم في حاجات كتير.

آية:

- ماشي يافؤاد ياالله سمي وهنوريهولك.

فقال فؤاد:

- أنا عايز أمشي.

آية:

- سمي بقى ليركبك.

فقال فؤاد وهو خائف:

- بسم الله الرحمن الرحيم

قال جابير:

- يالا يا سونه.

فظهر سونه ونظر إلى فؤاد الذي يرتعش من الخوف وقال بصوت عالٍ:

- آية ياعم أنت خايف مني ليه هو أنا هعضك ماتخافش.

ارتعشت كل شعرة في جسم فؤاد لرؤية سونه الذي أكمل قائلًا:

- أنت خايف ليه عايز افهم! أنا وأنت مسلمين وموحدين ربنا واتخلقنا علشان نعبد ربنا، ينفع تخاف مني ولا أخاف منك؟!

فبدأ فؤاد يشعر بارتياح، ونظرت له آية وقالت:

- شفت الموضوع سهل ازاي.

فبدأ جسم فؤاد يهدأ ونظر سونه إلى جابير وقال له:

- أي خدمة يابه علشان تعرف إن أنا مظبطك، أنا عمري ماظهر لحد، بس علشانك أنت بس.

ردّ جابير:

- ربنا يكرمك يا معلم.

اتجه سونه ناحية فؤاد ومدّ يده وقال:

- سلم عليه، سلم عليه ماتخافش.

فمد فؤاد يده لسونه وسلّم عليه وقال سونه له:

- أنا اسمي سونه، أنت اسمك ايه؟

فرد فؤاد بينما تبتسم آية:

- فؤاد.

- عاشت الأسامي يا فؤش.

ونظر سونه إلى آية المبتسمة وابتسم هو الآخر ومدّ يده قائلًا:

- سونه السركي.

فمدت آية يدها قائلة:

- آية الشرقاوي محامية فوق وتحت.

- يعني الجمال ده بينزل عندنا؟

فسحبت آية يدها وقالت وحواجبها مرتفعة لأعلى:

- احنا هنهزر

فنادي جابير على سونه وقال له:

- تعالى يا سونه.

فعاد سونه للوقوف بجوار جابير، بينما استغربت آية موقف سونه ونظرت إلى فؤاد وقالت له:

- شفت الموضوع سهل ازاي.

فقال فؤاد وهو يهزّ رأسه ويباعد نظره بين سونه وآية:

- ماشي أنا كده معليش عفريت؟

فقال سونه وقاطع آية التي بدأت في الكلام:

- عفريت آية ياعم عليا النعمة لو عليك عفريت أكله، ده أنت من طرف

الطيار ياعم.

- طيار مين؟

فمسك جابير سونه بيديه وقال له:

- أنا هنا اسمي الشيخ مصطفى .

وقالت آية وهي تنظر لسونه بترقبٍ:

- قصده الشيخ مصطفى وأنت معلكش حاجة.

فأكمل سونه:

- اشتان صاحبي عامل حاجة حلوة، هو جايلي النهاردة، حاجة أوجهها للواحد لو راكبة حد فيها سهم يتحرك على الأحر لو معموله عمل تيجي على الأزرق، فاهم؟ يعني لو معمولك عمل ولا حاجة هنشفهولك، وأنت كويس ماتخافش ولو عوزت أي حاجة أنا خدام

يعني.

فنظرت آية إلى سونه من فوق وتحت كي يكف عن الكلام، ثم نظرت إلى جابير، وأشارت على سونه؛ فاقترب جابير من سونه الذي يقف بجواره وقال له:

- خلاص بقي اتكل على الله.

فقال سونه بصوتٍ منخفضٍ:

- طب أنا مش هينفع امشي.

- طب اختفي على الأقل.

فنظر سونه إلى آية وفؤاد وقال:

- طب عايزين حاجة مني يا جماعة علشان عندي مشوار، بس فرصة

- سعيدة يا فؤش، ياله سلام.

فاختفى سونه، وظلّ واقفًا مكانه.

وتكلمت آية مع فؤاد:

- شفت الدنيا سهلة ازاي، ماتخافش من عفاريت تاني، أنت معلكش

- عفاريت ولا حاجة، أنت سليم.

- امال أنا جاي هنا أعمل ايه؟!

فنظرت آية إلى جابير ونظر إليها هو الآخر ولم يعرفوا ماذا سيقولون، فردّ جابير:

- علشان ارجعلك حياتك.

فعاد جابير بظهره إلى الخلف، بينما أخذت آية صنية الأكل التي كانت لا تزال موجودة أمامه إلى المطبخ، وتكلم فؤاد بينما اقترب جابير وجلس بجواره:

- أنا مراتي ماتت هترجع ازاي؟! والمحل سبته والعيال بتقول عليا إن أنا مجنون، وبخاف اقعد في شقتي، حياه ايه ياعم اللي هترجعوهالي؟!

جابير:

- يا عم أنت عاقل اهو، تخيل نفسك لو روحت بلد تانية هتعيش وسط الناس على إنك بني آدم عادي. هي المشكلة في بصة الناس ليك هنا وهنغيرها وخلاص.

عادت آية من المطبخ وقالت:

- أنا عايزة أبقى أجيب سخان علشان الشاي.

وجلست على الكرسي مكان جابير، وقال جابير:

- يعني أنت كده خلاص فقدت الأمل في ربنا! ماترجع يا عم تقعد في شقتك وتتجوز وتفتح محل وكل حاجة.

- والناس اللي بتقول عليا مجنون؟

فقال جابير:

- ليك عليا يا عم مخليش حد يقول عليك مجنون، مش علشان حاجة

- علشان أنت عاقل مش مجنون بس.

- مش هتعرف.

- ولو عرفت ترجع تعيش حياتك بشكل طبيعي؟

فنظر فؤاد إلى جابير وحرك رأسه بالموافقة.

فقال جابير:

طب نقرا الفاتحة على كده؟

فابتسم فؤاد ابتسامة سخرية تراها خارجة منه على أنها ابتسامة حزن وليس فرحًا وقال:

- ماشي.

وقرؤوا هم الثلاثة الفاتحة، ثم قالوا: آمين، حينها سمعت آية صوت في أذنها يقول:

- أنا لو إنسي مكنتش سبتك.

فتلفتت آية بسرعة حولها وقالت:

- في ناس ممكن تتحرق دلوقتي.

نظر جابير إلى عين فؤاد مباشرة وقال له:

- ممكن تحكيلي بقى ايه اللي حصلك؟

نظر فؤاد إلى الأرض، ثم إلى آية ولم يعرف إذا كان سيجيب على هذا السؤال أم لا، فقالت آية:

- لو عايزني أمشي همشي.

فقال فؤاد:

- هي جات على قعدتك ما الناس كلها عرفت وشافت.

وسكت فؤاد قليلًا، ثم بدأ يتكلم:

- عادي اتجوزت وكل حاجة كانت كويسة وليلة الدخلة مراتي وهي في الحمام السخان فرقع تقريبًا قعد يطلع بخار وكان في صوت عالي،

فدخلت جري عليها وحاولت أقفله ومعرفتش أخرجها علشان لو كنت خرجتها البخار كان هيجي في وشها، ومعرفتش أقفله وبصيت لقيت الباب مقفول من جوه ومحدش راح ناحيته، المهم بقى حصل اللي حصل، أنا مش عايز أتكلم في الموضوع ده.

وقام فؤاد من مكانه وتركهم وذهب في اتجاه باب الشقة، لكن جابير سار خلفه كي يوقفه وقال له:

- رايح فين بس؟ ماتقعد.
- لأ لأ مش عايز اقعد في الشقة دي.

وأصرّ فؤاد على الخروج وحاول جابير منعه، لكن آية أشارت له بيدها أن يتركه؛ فتركه جابير يفتح باب الشقة وينزل منها، وبقيت آية وجابير في الشقة حينها أخبرت آية جابير بأن يلحقه فارتدى الحذاء ولحِق به على السلم وقال له:

- طب استنى هنتكلم في أي حتة.

توقف فؤاد عن الحركة حتى لحِق به جابير وسارا معًا إلى خارج المنزل إلى الشارع، وتكلم جابير مع فؤاد:

- هو أنت كان عندك محل ايه يا فؤاد؟
- ساعات.

أنا كان بيجيلي أغلى ساعات في مصر أصلحها، كانت الساعة بتستنى بالشهر علشان تاخد دورها.

- ياه!! طب ده لازم يرجع تاني.

أحد الأطفال كان يقف في الشارع ينظر إلى فؤاد الذي يسير ومعه جابير، ويحضّر نفسه لأن يقول شيئًا لفؤاد يضايقه به، وعندما مرّ فؤاد وأعطاه ظهره قال:

- شفت مراتك عريانة يا فؤاد.

فتعصب فؤاد جدًّا وأحمرّ وجهه والتفت ناحية الصبي، بينما جرى الصبي وحاول فؤاد أن يلحقه، لكن جابير مسكه بكل قوته، وأخذ فؤاد يصرخ ويقول:

- وسع وسع هموته.

ويحاول جابير أن يمسكه بكل قوة، ثم سمع جابير صوت سونه المختفي:

- أمسكه معاك؟

فنظر جابير ناحية الهواء، وأخذ يكلم سونه الذي لا يراه أحدٌ:

- أنت ايه اللي نزلك؟
- البت اللي فوق قالتلي انزل لحرقك.

والتفت سونه الناحية الأخرى وحاول أن يمسك فؤاد المتعصب جدًّا، و شعر بأنه يمسكه، فطلب منه أن يتركه وقال له وهو يكلم الهواء:

- سيبه يا سونه.

انتبه الأطفال إلى جابير الذي يكلّم نفسه، وأخذوا يضحكون عليه ويقولون:

- الاتنين هبل، الاتنين هبل.

جابير:

- اهدى يا فؤاد، اهدى يا فؤاد اعمل معروف.

وحينها شعر أن سونه تركه، ثم لاحظ جابير وهو يمسك فؤاد أن ملامحه

تتغير، فنظر جابير ناحية الأطفال فوجدهم يصرخون ولا يعرف لماذا يصرخون، ثم وجد الطفل الذي شتم فؤاد يخبط رأسه في الجدار، وبدأ الأطفال في الجري في كل اتجاه، وبدأوا يبكون فتوقف فؤاد عن محاولة التملص من جابير، وهدأ تمامًا ثم عاد سونه ووقف أمام فؤاد وهو مختفٍ وقال له:

- أي خدمة ياعم فؤاد، لو عوزت أي حاجة أنا خدامك.

فهدأ فؤاد تمامًا وبدأ وجهه يعود للونه الطبيعي، وأخذ جابير فؤاد وساروا في الشارع.

سونه:

- هو انتوا رايحين فين؟

جابير:

- هو المحل بتاعك كان فين يا فؤاد؟

فؤاد:

- في غمره.

سونه:

- دي بعيدة ياعم.

فؤاد:

- هو احنا مش رايحين أصلًا، أنا هروح أعمل ايه؟

جابير:

- ياعم أنا قلتلك هنروح هو أنت دلوقتي تعرف تصلح الساعات ولا

معدتش بتعرف؟

فؤاد:

- أنا بعرف أصلح الساعات أحسن ما أنت بتعرف تتنفس.

جابير:

- طب ماصلحتلناش الساعة اللي فوق ليه ياعم؟!

فؤاد:

- الساعة اللي فوق ماينفعش تتصلح.

جابير:

- ليه كده؟

فؤاد:

- علشان اللي اتعملت علشانها ماتت، فالساعة زعلت عليها ومعدتش بتشتغل.

سونه:

- ايه ياعم أنت ممسوس ولا ايه؟! ساعة ايه اللي زعلت ولا تكنش الساعة اللي ممسوسة!

وضحك سونه.

فقال جابير:

- اهدى ياسونه ياتمشي.

ثم بدأ يكلم فؤاد:

- طب يابه صلح أي ساعة تانية، ارجع اشتغل تاني، افتحلك محل؟

فؤاد:

- المحل كان بتاع ابويه، وعليه اسمه من وهو ادي، عمري ماعرف اشتغل في محل تاني.

جابير:

- طب ماتشتغل فيه ياعم، هو أنت بعته؟

فؤاد:

- أجرته سبع سنين.

جابير:

- ليه كده يا فؤاد؟

فؤاد:

- اهو بقى كان مقفول.

جابير:

- والسبع سنين دول هيخلصوا امتى؟

فؤاد:

- الاتفاق كان أما اعوز آخد المحل في أي وقت آخده، بس لما روحت للوله اللي أجرتهوله قالي كان خامسة.

جابير:

- طب ليه؟

فؤاد:

عيل وسخ كان بيشتغل صبي عندي، ولما اجره صفى البضاعة اللي فيه، ولما

أختي راحتله، قالها أنا واخدة من غير بضاعة وبيجيب الإيجار شهر آه وتلاتة لأ.

نظر جابير إلى فؤاد الذي يسير بجواره في الشارع نظرة أبطأت حركة فؤاد كثيرًا وقال له:

- تعالى وديني المحل ده.

فوافق فؤاد وأخذه إلى المحل دون أن يعرف لماذا، ثم في الطريق سأله.

فؤاد:

- طب احنا رايحين نعمل ايه دلوقتي؟

جابير:

- أنت مش بتقول ليك إيجار متأخر؟

فؤاد:

- هو بيجيب إيجار أساسًا!

جابير:

- طيب ياعم احنا رايحين في حق، على الأقل علشان ضميري يبقى مرتاح وأنا بجبلك حقك.

استمر فؤاد في السير ومعه جابير حتى وصلا إلى محل ساعات واجهته كبيرة مكتوب عليه الأمير للساعات وفي الفاترينه عدة ساعات.

جابير:

- أنت أبوك كان اسمه الأمير؟

فؤاد:

- ده اسم الكلب اللي أجره، أبويه اسمه صلاح برغوت، المحطة دي كان اسمها على اسمه لو راكب أي مواصلة تقوله صلاح برغوت.

المنطقة تجارية بها عدة محلات بجوار بعضها، والطريق عمومي تسير فيه الميكروباصات والتاكسيات.

جابير:

- طب تعالى نخش واسأله على الإيجار.

دخل فؤاد إلى المحل بصعوبة وهو يتأمل كل شبرٍ فيه، نظر بعينه إلى الفاترينه الداخلية التي يجلس خلفها أمير ومعه صبي في الخامسة عشرة، وفوقه ساعات حائط كثيرة معلقة على الجدار، بينما امتلأت الفاترينه الداخلية بساعات اليد.

أمير في عمر فؤاد، نحيل، لونه قمحي مائل للسواد، شعره أسود ملفلف، عندما رأي فؤاد أمامه استغرب وشعر بالامتعاض، لكنه في ثانية غيّر علامات وجهه إلى الابتسامة وقام من مكانه مهللًا بدخول فؤاد عليه.

أمير:

- فؤاد ازيك يا ريس؟

ومدّ يده لفؤاد كي يسلم عليه، ومد فؤاد يده بحزن؛ لأنه كان يقول لفؤاد في الأول يا اسطى!

- ازيك يا أمير؟
- الحمد لله، أنت عامل ايه يا فؤاد؟
- هات كرسي ياله، ثم نظر إلى جابير وقال له:
- اؤمر يا باشا؟

فردّ جابير:

- جاي مع فؤاد.

فنظر للخلف وقال:

- كرسيين ياله.

جلس فؤاد مع جابير، وأخذ فؤاد يتأمل كل ركن من أركان المحل.

أمير:

- وأنت عامل ايه دلوقتي خفيت ولا لسه بتحس بحاجة؟

غضب فؤاد من كلام أمير، لكنه وجدَ يد جابير على رجله تطلب منه الهدوء، وردّ جابير بالنيابة عنه:

- الحمد لله يا عم الرجل زي الفل اهو.

فنظر أمير إلى جابير وسأله وهو يرفع كوب الشاي إلى فمه، وينظر إلى وجه جابير أو مصطفى الذي كان يحمل ندبة أثر إصابة بسكينة أسفل وجنته اليمنى.

- ومين بقى الأستاذ؟!

فردّ جابير:

- مصطفى العربي.

أمير:

- وبتشتغل ايه بقى يا باشا؟

فردّ جابير:

- حاوي.

فابتسم أمير بخبثٍ وقال:

- ياه طب ماتجبلنا مليون جنيه كده.

جابير:

- لأ أنا باخد مابديش.

حينها فهم أمير أن فؤاد سيطلب منه الإيجار، ووضع جابير يديه على رجل فؤاد واقترب منه وقال له الإيجار، ولكن أمير ردّ قبل أن يسأل:

- والله أنا عارف إن أنا متأخر في الإيجار، بس زي ما أنت شايف يا فؤاد مفيش سوق، البلد حالها واقف، وقفلنا المحل الشهر اللي فات بتاع الثورة، وادينا بنش وداخلين في حظر وزفت، والحالة زي ما أنت شايف، كان بودي والله بس مفيش يا فؤاد.

فقال فؤاد وهو يحاول أن يعبر عن غضبه:

- هو أنت من امتى وأنت بتقولي يا فؤاد؟! أنت مش كنت بتقولي يا أسطى؟!

فنظر أمير إلى الأرض، ثم رفع رأسه ونظر في وجه فؤاد وقال:

- ماشي يا اسطي ربنا يشفيك.

حينها غضب فؤاد وتحوّل وجهه للون الأحمر، ولكن جابير قبض على يديه بكل قوة كي لا يفعل أي شيء، وبدأ في الكلام:

- بص ياعم أمير عليك إيجار قديم هتجيبه أول حاجة، تاني حاجة كان في اتفاق بينك وبين الرجل ده إنه لما يعوز المحل تسيبه.

وأكمل فؤاد:

- وإنك ماتنزلش اسم ابويه من على المحل.

عاد أمير بظهره إلى الخلف، بينما دخل الصبي من باب المحل ووضع كوبين من الشاي على الفاترينه وقال:

- بيني وبينك عقد اشتكيني، هقلهم واحد ركبوا عفاريت وبيضايق الجيران اللي حوليه وشوف مين اللي هيديك المحل.

حينها احمرّ وجه فؤاد تمامًا قبض جابير بقوة على يديه الاثنتين كي لا ينفعل وقام ووقف أمامه كي لا ينظر إلى أمير وقال لفؤاد:

- يالا نطلع بره، يالا قوم ماتعملش حاجة، حقك أنا هجيبهولك وأنت عارف إن أنا هعرف.

وأخرج جابير فؤاد من المحل وخرج معه.

رحلوا جميعًا عن تلك المنطقة وعادوا إلى الشقة، وعندما دخلوا من باب العمارة شموا رائحة بخور كثيفة تملأ المكان وصوت مقرئ. وصلوا الشقة فوجدوا بابها مفتوحًا، ويوجد طوبه خلف الباب تسنده كي لا يغلق، ويخرج من داخل الشقة رائحة البخور وصوت الشيخ عبد الباسط ليسمع دارالسلام كلها، دخلوا إلى الشقة فوجدوا شيماء تجلس وسط الدخان ومعها آية ويتحدثان معًا، عندما رأتهم شيماء ذهبت مسرعة ناحية أخيها تضع يدها عليه لتتحسسه، ثم سألت جابير:

- ايه عمل ايه؟

جابير:

- ايه اللي انتوا عاملينه ده؟!

شيماء:

- حاسينا إن هما رجعوا تاني يا سيدنا الشيخ.

نظر جابير إلى آية التي تجلس على الكنبة ويحيطها الدخان من كل ناحية، فوجد بيدها سيجارة مشتعلة يختلط دخانها بالبخور، ذهب جابير إليها وسألها

- ايه في ايه؟

فردّت آية والسيجارة في فمها:

- مفيش حاجة الأبواب خبطت، فخافت وعملت اللي أنت شايفه، ده أنت عملت معاه ايه؟

جلس جابير وسمع صوت سونه في أذنه:

- هي بتشرب سجاير؟

فنظر ناحية اليمين وقال:

- شوف كده في حد هنا؟

ثم نظر ناحية شيماء التي اقتربت منه وسألته:

- طب أنت عايز فؤاد في حاجة؟

فرفع جابير يديه قائلًا:

- لأ شكرًا.

ثم نظر إلى فؤاد وقال له:

- بكره مستنيك وإن شاء الله الموضوع هيبقى خلصان.

شيماء متلهفة:

- موضوع ايه؟

فعاد جابير بظهره إلى الخلف وقال:

- المحل إن شاء الله هنرجعهوله.

ففرحت شيماء ورفعت رأسها لأعلى:

- ده يبقي يوم المنى لو يرجع تاني المحل.

استغربت آية من موضوع المحل، لكنها لم تسأل جابير عنه إلا بعد نزول شيماء وأخيها.

آية:

- محل ايه؟

سمع جابير صوت سونه في أذنه:

- أشتان صاحبي جه ونايم في الحمام، أصحيه؟

فقال جابير بدون أن ينظر إلى سونه:

- لأ عادي.

ثم عاد للنظر ناحية آية وقال لها:

- المحل بتاعوا في واد واخدة منه ومبيدلوش الإيجار، فأنا هرجعهوله.

قالت آية وهي غير راضية:

- أنا مش عايزة وش، لو عملت حاجة حراس الأرض مش هيسيبوك.

جابير:

- ماتخافيش.

نظرت آية في اتجاه الهواء الذي يحيط جابير، ثم قالت:

- هو سونه ده لسه هنا؟

فردّ جابير:

- أه هنا.

آية بوجهٍ رافضٍ لوجوده:

- ماتمشيه.

جابير:

- خليه ده جني غلبان وبعدين ساعدني جامد مع الوله.

آية:

- أنا مش عايزة وجع دماغ مع العفريت ده وتعملوا حاجات سودا تيجي على دماغي في الآخر.

حينها وجدت آية سونه يظهر من العدم ليقف أمامها هي وجابير، ولكن بحوزته جني آخر يضع سونه يديه على كتفه، قزم ويرتدي نظارة على عينه، له جلد أحمر باهت، وعظامه تظهر من تحت جلده، ملابسه المصنوعة من الصوف.

رجعت آية للخلف حينما رأته وقالت:

- ايه ده؟

حينها التفت جابير إليه ثم سمع سونه يقول:

- أشتان صاحبي.

أعرفك:

- أستاذة آية الشرقاوي محامية فوق وتحت، وطبعًا ده الباشا الكبير جابير الأشعم بس نازل في جسم بني آدم.

فحرّك أشتان رأسه وقال بصوت يظهر أنه أخنف تمامًا:

- أهلا وسهلًا عاملين ايه.

فنظرت آية إلى جابير مستغربة، لكن الختفة في صوت أشتان ومظهره جعلوا وجهها يبتسم قليلًا، ونظر جابير إليه ومدّ يده وقال له:

- ازيك عامل ايه؟

فردّ أشتان:

- الحمد لله انتوا عاملين ايه سألتكوا على فكرة ومارديتوش!

جابير:

- كويسين.

سونه وهو يربط يديه بقوة على كتف أشتان الأقصر منه:

- أشتان بقى عبقري، دماغه فظيعه، وبيخترع حاجات وهمية.

أشتان بكسوف:

- ياعم ماتقولش كده بس ياعم.

ظلت آية تبتسم من الختفة الموجودة في صوت أشتان القزم.

أكمل سونه:

- ده بقي عنده جهاز بيجيبه عليك لو معمولك عمل يجي على الأزرق لو ممسوس يجي على الأحمر، صح يا اشتان؟

أشتان:

- - مش صح قوي.

وفجأة ظهر جهاز بيد أشتان عبارة عن زمارة عجلة موصل بآخرها خشبة، وعليها سهم يلف مثل سهم السرعة الموجود في السيارة.

قال أشتان:

- بنقرا على المياه قرآن ونحطها من الفتحة بتاعة الزماره دي تنزل في الجلدة المطاط اللي في آخر الزمارة دي، الجلدة فيها فتحة مفروض تعدي المياه على الخشبة والخشبة مخرومة من الناحية التانية، بنفخ في الناحية دي الزمارة بتزمر والسهم بيجي من الشمال لليمين، لو أنت معلكش حاجة يفضل مكانه لو معمولك عمل يتحرك لحد أول ربع، لو ممسوس يتحرك لحد النص، لو راكبك حد يوصل لحد الآخر.

ابتسمت آية وهي مستهجنة ما تراه، وقالت:

- ماشي برافو عليك يالا بقى روح.

فغضب أشتان جدًا ودافع سونه عنه وهما واقفان أمام آية وجابير:

- يروح فين ده قاعد معايا هنا.

وقال جابير وهو ينظر إلى آية بينما يشعر أشتان بالخجل:

- ياستي ملكيش دعوة بيهم دول معايا.

سونه:

- على فكرة الجهاز ده هينفعكوا جدًا مع الوله، جربوا كده يا أشتان على عمك جابير.

صوب أشتان الزمارة ناحية وجه جابير، ثم نفخ وسأله جابير:

- أنت حاطط فيها مياه؟

فحرّك سونه رأسه بالموافقة بدلًا من أشتان، ثم انتهى أشتان من النفخ وسمعوا صوت الزمارة مستمرًا بقوة لدرجة أصابت غيظ آية وجعلتها تقوم من مكانها حتى استقر السهم على النهاية الأخرى وحينها قال أشتان:

- أنت في حد راكبك؟

فردّ سونه:

- أنت ذكي ياله مش بقولك إن هو راكب حد.

فرفع أشتان حواجبه وقال:

- آه.

حينها همت آية بالانصراف وقالت لجابير:

- خلي بالك أنت لو ملحقتش تعمل اللي أنت طالع الأرض تعمله هتموت.

ثم سمعت آية صوت الزمارة ونظرت ناحيتها لتجد أشتان موجهها ناحيتها فاستغربت بشدة حينها سمعت أشتان يقول:

- أنتي معمولك عمل.

وكان السهم موجودًا في أول ربع.

فاستغربت آية ورفعت حواجبها حتى آخرها وقالت:

- أنت أهبل ياله، أنت عايز تتحرق.

فرجع أشتان للخلف واستخبى خلف سونه الذي ظلّ رابطا على كتفه، وردّ بالنيابة عنه.

- هو عملك حاجة، هو بيقلك إن معمولك عمل، الحق عليه إنه بيفيدك!

آية:

- عمل ايه ياهبل أنت وهو، أنت عبيط ياله أنت وهو، يالا أنا هنزل

أجبلكوا حراس الأرض.

حينها وقف جابير مكانه وقال لها:

- خلاص خلاص.

وحاول أن يمسك يدها كي يهدأها فبعدت يديه بكل قوة:

- هو ايه اللي أنا عاملاه في نفسي ده، شويه مجانين وقاعدة معاهم.

وتركت آية الشقة وخرجت وحاول جابير أن ينادي عليها:

- يا آية، يا آية.

فنظرت آية إلى جابير وقالت:

- أنا عملت معاك اللي أقدر عليه، وأنت بمعرفتك بقى شوف هترجع للواد ده حياته ازاي، أنا معدش فارق معايا إن أنت تاخد براءة من حرق.

وخرجت آية من الشقة، وأغلقت الباب خلفها بكل قوة وكان أشتان مختبئًا خلف جسم سونه الذي يحاول أن يربط بكل قوة على كتفه كي لا يحزن لما حدث. عاد جابير للجلوس على الكنبة وجلس بجواره سونه وأشتان.

وبدأ سونه في الكلام:

- طب احنا هنعمل آية مع صاحبك؟

فنظر له جابير:

- صاحبي مين؟

سونه:

- ياعم الوله بتاع الساعات.

جابير:

- اه، مش عارف، تفتكر نعمله ايه؟

نظر إليه سونه باستغراب:

- مش مفروض نمشي الواد ده من المحل.

أشتان:

- محل ايه؟

سونه:

- محل كان مأجرة لواحد وعايزين نطلعه منه.

أشتان:

- يعني المحل أصلًا بتاع صاحبكم؟

جابير:

- اه.

سونه:

- عايزين نطفشوا.

أشتان:

- ليه ياعم ماتسرق عقد الإيجار وخلاص.

جابير:

- طب احنا مش عارفين مكانه أصلًا.

أشتان:

- يعني هو هيكون حاطه في بطن حوت يعني! أكيد راميه في دورج الكوميدينو.

نظر جابير إلى أشتان وقال له:

- هتعرف تجيبه يعني؟

أشتان بثقة:

- أجبلك أمه.

جابير:

- طب روح هاتوا دلوقتي.

أشتان:

- هاتلي ريحته.

جابير:

- وأنا أجبلك ريحة العقد منين؟

أشتان:

- ريحة صاحب العقد.

أمسك سونه يد أشتان كي ينظر إليه، فكان يجلس على يمينه وقال له:

- ياعم أنا عارف الوله وعارف مكانه.

أشتان:

- خلاص تعالى معايا نروح نجيبه.

فنظر سونه إلى أشتان كي يتأكد إذا كان واثقًا من نفسه أم لا، وقال:

- ولو جبنا العقد كده خلاص؟

أشتان:

- ايوه ياجدعان في ايه هو في حد بيوثق عقود الإيجار!

نظر جابير إلى أشتان وقال له:

- خلاص روح هاتوا دلوقتي.

فقام أشتان من مكانه وقام سونه هو الآخر، ثم سأل سونه جابير:

- أجبلك حاجة معايا وأنا جاي؟

فسكت جابير لبرهة ليفكر وهو ينظر إلى سونه، ثم قال:

- عارف أخت الوله فؤاد اللي اسمها شيماء؟

ردّ سونه:

- اه الوليه الرفيعة دي.

- روح قولها في ودنها تجيب العقد بتاع الملكية بتاع أخوها.

أشتان:

- طب ما نجيبه احنا.

- لأ خليها هي تجيبه بنفسها أحسن. (جابير قائلًا)

حينها اختفى أشتان وسونه من أمام جابير وتركوه وحده في الشقة يفكر في العمل المعمول لآية، وما هو هذا العمل، وكيف يساعدها في التخلص منه. استمر جابير في الحركة داخل الشقة والذهاب للبلكونه منتظرًا عودة سونه وأشتان وفجأةً سمع خبط على باب الشقة، ذهب ناحية باب الشقة وفتح الباب مباشرة ليجد أمامه سيدة في منتصف الخمسينات ممتلئة القوام تداري

وزنها الزائد بعباية سوداء منحنية قليلًا ناحية الأمام، قمحية الملامح يظهر عليها العجز، وبجوارها فتاة خمرية في أواخر العشرينات، ترتدي جيبه سوداء وبلوزه بيضاء، لها عيون عسلية، لها باع طويل في الجمال! نظر جابير إليهما ولا يعرف فيما أتيا، ثم سمع صوت العجوز المنحنية:

- السلام عليكم

فردّ جابير:

- عليكم السلام.

وأكملت السيدة:

- ممكن نقابل الشيخ لو سمحت؟

لم يفهم جابير فيما أتيا وبحسن نيةٍ قال لها:

- ايوه أنا.

فنظرت السيدة المنحنية إليه وقالت ويبدو عليها الضعف:

- جينالك في حاجة يا سيدنا الشيخ..

حينها التفت جابير إلى الفتاة وشعر بأن هناك عملًا معمولًا لها، أو مثل تلك الأشياء ولم يرد جابير أن يشغل نفسه بمثل تلك الأمور فسألها:

- اؤمري.

فردّت السيدة:

- هو ينفع هنا على الباب.

كانت ساعة مغربية ولم يرد جابير أن يتورط في أي شيء، ولكن منظر الفتاة جعله يوافق وأدخلهم إلى داخل الشقة، وجلسوا في تلك الصالة على الكنبة هم

الاثنان بجوار بعض، وهو يجلس على كرسي أمامهم، قال جابير:

- اؤمري يا ستي.

حينها وضعت السيدة يدها على بنتها كما توقع أن تكون المشكلة في بنتها، وأردفت قائلة:

- بنتي يا سيدنا الشيخ زي ما أنت شايف بدر، روحها حلوة وطيبة وبتنكسف من الريح وبتصلي وعارفة ربنا وبيجيلها العرسان يدقوا بابها ويخطبوها ويسبوها، اتخطبت ست مرات وكل مرة أحسن من اللي قبلها ونقول معلش دي حكمة ربنا، وتحب خطيبها ويسبها ومن غير سبب! نفسه مش مرتاحة تحصله حاجة، حاجات تافهة، وأنا معرفش في ايه! ونفسي أفرح بيها قبل ماموت، بالله عليك تشوفلنا في ايه، وأنا والله مقتدرة وهعمل أي حاجة علشانها.

نظر جابير إليها باستغرابٍ وبدأ يستعرض موقفه في رأسه وأنه يجب عليه ألا يفعل أي شيء لأي شخصٍ، ثم نظر إلى الفتاة التي يبدو عليها الحزن، وقال:

- طب أنتي عرفتيني منين يا ستي؟!

فألحت عليه السيدة المنحية وقالت:

- والنبي يا شيخ ماتسألني الأسئلة دي أنا هعملك أي حاجة بس تشوفلنا مالها أبوس ايدك.

فرجع جابير إلى الخلف ليأخذ حذره من أي شيء تفعله هذه السيدة، وبدأ يفكر في الزمارة الخاصة بأشتان إذا وجدها من الممكن أن يكتشف ما بالفتاة، ثم قال لها:

- طب استنى ثانية واحدة.

وخرج من الصالة ودخل إلى غرفة النوم وأخذ يبحث فيها ولم يجد أي شيء، ثم دخل إلى المطبخ، ثم الحمام ولم يجد أي شيء، ثم إلى الغرفة الأخرى التي كانت خالية تمامًا، نظر داخلها ثم لم يجد أي شيء وخرج منها، ثم عاد مجددًا؛ لينظر خلف الباب ودخل إلى الغرفة وأغلق الباب لينظر خلفه فوجد الباب يُغلق وحده! ووجد يدًا تقبض بقوةٍ على فمه وأظافر طويلة تدخل في شفتيه ولا يستطيع الكلام وكل ما يفعله أنه يحرك رجليه ويديه؛ لكي يتخلص من تلك القبضة، ثم فجأةً وجد أمامه جنيًا يزيد طوله عن المترين والنصف، له ذيل يتحرك خلفه، جلده أصفر تمامًا تظهر عظامه من أسفل الجلد، ومقلتا عيناه حمراء كالنار ليس برأسه أي شعر.

نظر جابير إلى يديه فوجد حديدة كبيرة في كل معصم داخلة في الجلد وخارجة منه تتدككه كخيط، حينها عرف أنه من حراس الأرض.

فتح الحارس فمه ليتكلم في وجه جابير وقال:

- هتلعب يبقى هتلعب بطريقتي.

وحينها وجد الحارس يقذفه من أول الغرفة إلى آخرها؛ لينزل على الجدار ويقع على الأرض ويتألم بشدة وفتح عينيه بعد الوقعة ليجد حارسًا آخر له نفس هيئة هذا الحارس ويختلف عنه في ملامح وجهه وامتلاكه لشعر على رأسه، وأكمل الحارس الأول قائلًا:

- عالم الجن مش لعبة مينفعش إنسي يتكلم مع جني والإنسي اللي يعمل

كده يبقى لازم يموت، عقابك دلوقتي إنك تموت.

لم يعرف جابير ماذا يقول وهو جالس على الأرض يتألم بشدة، هل يخبرهم أنه جني طيار محكوم عليه حكم، أم لا؟ أسئلة كبيرة دارت في رأس جابير، بينما يتكلم الحارس الذي أردف قائلًا وهو يقترب من جابير:

- عايز تموت ولا عايز تلعب بطريقتي؟

فنظر إليه جابير وهو مكوم على الأرض ولم يعرف ماذا يقول وماذا عليه أن يخبره الآن، وأكمل الجني:

- كل اللي هتاخده بالنص، وأنا مش هساعدك ومش هعملك حاجة غير إني هسيبك فاهم.

فنظر جابير إليه في خوف، ثم أعاد الحارس سؤاله بعدما رفع صوته وخبط يده في الجدار وقال: فاهم؟

فأجاب جابير:

- آه.

حينها اختفيا من أمامه وظلّ جابير على الأرض ولم يستطع القيام ليرى السيدة التي بالخارج، وظلّ جالسًا لمدة نصف ساعة حتى قام من مكانه ولم يجدها بالخارج ولم يسمع أي صوت لإغلاق الباب، فحينها أدرك أن هذا الحارس كان تلك السيدة ونام جابير على الكنبة ليريح ظهره من الصدمة، وغفي قليلًا ثم استيقظ على صوت سونه:

- قوم يا طيار، يا طيار.

فنظر جابير إلى يمينه وهو نائم على الكنبة فوجد سونه فرحًا وبجواره أشتان يمسكان عدة أوراق في أيديهم، ولم يستطيع أن يعدل نفسه على الكنبة وعندما تألم وهو يعدل ظهره شعر سونه بأن هناك شيئًا ما حدث فسأله وهو يقرب وجهه منه:

- ايه يا جابير في ايه؟

فردّ جابير بعدما عدل نفسه على الكنبة ووضع يديه على مسند الكنبة، وسند ظهره لها:

- حراس الأرض جم هنا وضربوني.

فقال أشتان:

- كان شكلهم ايه؟

جابير:

- واحد كانت عنيه حمرا..

فقال سونه:

- خزيم وسرقط ياه دول صاعبين أوي، عملوا فيك ايه؟

بدأ سونه يتحسس جسم جابير، فقال جابير بعد أن عدل نفسه تمامًا على الكنبة وجلس عليها:

- حدفني في آخر الأوضة على الجدار، فضهري كله اتخبط فيه.

أشتان:

- ماتقلقش هجبلك لبخة سبرتو وأدهنلك بيها ضهرك ومش هيوجعك،

ثم سكت سونه واشتان وتأملا جابير حتى سألهم جابير:

- عملتوا ايه؟

فردّ سونه مسرعًا:

- اه جبنا العقد وكان عاملوا صورة وضيعناله بطاقته ماتخافش.

وأعطوه العقد فأمسكه يتأمل فيه ثم قال:

- أنا معرفش الحراس عرفوا مكاني منين وقالولي لو هتشتغل يبقى تقسم معانا.

سونه:

- مش أنت قولتلي إن أنت حرقت جن هنا هتلاقيهم شموا خبر.

جابير:

- بس ميعرفوش إن أنا طيار.

أشتان:

- احمد ربنا، لو عرفوا كانوا موتوك، دول بيكرهوكوا أوي.

نظر سونه إلى جابير وقال له:

- دي غلطتي معلش.

جابير:

- غلطتك ليه يا بني؟!

سونه:

- نسيت أكتبلك آيات بدم الجمال مكنوش هيطيقوا يجوا الشقة، أنا هكتبلك دلوقتي، وأنت يا أشتان ادهنلوا ضهره.

أشتان:

- ماشي هروح أجيب اللبخة وآجي.

سونه:

- وأنا هروح المدبح وآجي ولا أقعد معاك؟

عاد جابير للنوم على الكنبة، وفرد ضهره كله وقال:

- لأ لأ على ايه؟

سونه:

- طب مش عايز أي حاجة أجيبهالك وأنا جاي؟

جابير:

- لأ شكرًا.

سونه:

- ماشي ياللا يا أشتان.

اختفى كلٌ من أشتان وسونه من أمام جابير وطاروا ليحضروا تلك الأشياء، بينما ارتاح جابير على الكنبة، وفرد ظهره مجددًا، ثم عاد سونه يحمل صفيحة بها دماء، وظهر أمام جابير ليجده نائمًا على الكنبة، وعيناه مغلقة فلم يرد أن يوقظه، وذهب في اتجاه الغرفة الخالية ووضع يده اليمنى كلها في الدم الموجود في الصفيحة، وقال (بسم الله الرحمن الرحيم) وأخذ يقلبه بالست أصابع ويحرك الدم في دوامات، وأخذ ينظر إلى جدران الغرفة المظلمة التي كانت مدهونة باللون الأبيض، ثم أدخل يده اليسرى تحت القطعة الكتانية التي تغطي خصره، وأخرج زجاجة بها سائل أخضر، حجمها لا يتعدى كف اليد، تشبه زجاجات

الريحة التركيب، وأفرغها في الصفيحة كلها، واستمر في التقليب كثيرًا، ثم أخرج يده من الصفيحة وهي مغطاة بكاملها بالدم، وبدأ يحركها على الجدار؛ ليكتب حرف الألف ثم اللام ثم الألف ثم التاء المربوطة؛ ليكتب لفظ الجلالة.. الله.. في مساحة حوالي متر في متر، وأخذ يدخل يده ويخرجها من الصفيحة واستمر في الكتابة حتى كتب حفيظ بجوار الله فكانت الجملة: (الله حفيظ) وكانت تظهر في الظلام، لونها فسفوري مشع عند أول الكتابة، لكن لونها انطفأ في ثوانٍ، ولم تعد تظهر وذهب حينها إلى مفتاح النور، وأضاءه فلم تظهر الكتابة، ولكنه كان لا يزال يراها، ولكنها لم تكن ترى للعين البشرية، وأراد أن يتأكد أنها مختفية، فذهب إلى الخارج، ووجد جابير ما زال نائمًا، فلم يرد أن يوقظه، وعاد مجددًا إلى تلك الغرفة، وظلّ يدخل يده اليمنى في الصفيحة، ويخرجها ويكتب بها على الجدار آيات قرآنية بإصبع واحد فقط، وكتب آية الكرسي كاملة على جدار، ثم ذهب إلى جدارٍ آخر في الغرفة، وهمّ في الكتابة، لكنه أخرج يده من الصفيحة ونشفها في الجدار، وخرج من الغرفة إلى الصالة، وأخذ يبحث عن مصحف في كل أركان الشقة، حينها لاحظه جابير الذي استيقظ فسأله:

- بتدور على ايه؟

سونه:

- عايز مصحف.

جابير:

- عايز تكتب ايه؟

سونه:

- الجن.

جابير:

- طب هقولهالك.

سونه:

- طب علّي صوتك علشان أنا بكتب جوه.

جابير:

- ماشي.

وعدل نفسه على الكنبة وهو يتألم فسأله سونه:

- ضهرك لسه واجعك؟

فقال جابير:

- اه.

سونه:

- دوقتي أشتان يجي ويدهنهولك.

ودخل سونه إلى داخل الغرفة، ووقف أمام الجدار ويده اليمنى في الصفيحة، يقلب بها الدماء، ثم سمع صوت جابير من الخارج:

- بسم الله الرحمن الرحيم

فبدأ يكتب سونه، ولكنه لاحظ أنه يريد ارتفاعًا؛ ليكتب من أول الجدار، فخرج إلى الخارج وسأله جابير:

- في ايه؟

فأخبره أنه يريد كرسيًا، فأخذ واحدًا من غرفة النوم، وعاد إلى الغرفة ووقف

عليه، وبدأ يكتب من أعلى الجدار بسم الله الرحمن الرحيم، ثم قال لجابير:

- يالا يا جابير.

فقال جابير:

- "قل أُوحِيَ إليّ أنه استمع نفرٌ من الجن فقالوا إنا سَمِعْنَا قرءانًا عَجَبًا"

(الجن :١)

وبدأ يكتب سونه حتى نفد الدم من يديه، فوجد أنّ عليه أن ينزل كل مرة إلى الصفيحة ليمد يده، فخرج مجددًا وسأله جابير:

- في ايه؟!

فأخبره أنه يريد شيئًا يضع عليه الصفيحة، فاقترح عليه جابير أن يأخذ الترابيزه، وحينها ظهر أشتان ومعه كيس أسود ملفوف.

أشتان:

- أنا جبتلك الحاجة أهو، اقلع القميص.

فخلع جابير القميص أمامهم، فلاحظوا كدمات كبيرة في ظهره أثر الاصطدام، فأشار له أشتان أن يجلس على الكنبة ليدهن له ظهره، وفتح أشتان الكيس، وأخرج منه عجينة بيضاء، وأخذ يفركها بيديه، ثم نظر إلى سونه ويده الحمراء، فسأله:

- أنت خلصت؟

فقال له أنه لم ينتهِ بعد، وأخبره أشتان أن يكمل ولا ينتظرهم؛ لأنه سيظل يدهن له ظهره كثيرًا، فأخبره جابير أنه سيقرأ السورة، بينما يدهن له أشتان ظهره، وبالفعل أخذ جابير يقرأ السورة. انتهى سونه من الكتابات القرآنية في الشقة

كلها، ولم يكتب أي شيء في الحمام. دخل جابير لينام حتى الصبح بعدما أخبر سونه أنه لا يرى شيئًا مما هو مكتوب، ففرح سونه لأنه استطاع إخفاء الكلام.

أتى الصباح واستيقظ جابير لا يشعر بأي ألمٍ في ظهره أو في رجله التي دهنها له أشتان بالأمس فالألم قد زال منها تمامًا، جلس قليلًا، ثم غسل وجهه ولم يجد شيئًا ليأكله ونظر إلى تلك الساعة في الصالة فوجدها لا تزال العاشرة ولا تتحرك عقاربها من مكانها، فأحضر الكرسي ووقف عليه وأنزلها وأخذ يتفحصها وأخرج البطارية ووضعها في ريموت التليفزيون، فوجدها تعمل ولم يفهم لماذا لا تعمل الساعة ولم يعرف الساعة، ثم دق الباب فذهب وفتحه ليجد أمامه شياء ومعها فؤاد تحمل شنطة في يدها ولم يعرف إذا كان حان ميعاد الغداء بعد أم لا، لكنه نظر إلى نور الشمس الذي يضيء السلم فشعر أن الساعة لن تزيد عن العاشرة صباحًا.

طلب منهم الدخول إلى الشقة واكتشف أن شياء أحضرت له إفطارًا وليس غداء، وأن الساعه الآن الحادية عشر، جلست شياء لتفطر معهم وأخبرته أنها أحضرت عقد الشقة لكي يراه ويرى ماذا سيفعل به.

تحرك جابير في جسد مصطفى كالعادة ومعه فؤاد متجهَينِ إلى المحل، يتحرك معهم سونه وأشتان، سأل فؤاد جابير:

- هنعمل ايه؟ هنقله ايه؟

جابير:

- ياعم ملكش دعوه أنت، مش المحل ملكك والناس في المنطقة عارفينك؟

فؤاد:

- يا عم اه بس حتى لو عارفيني! أنت هتطلعه ازاي؟ هتضربه وتطلعه!

جابير:

- هضرب ايه يابني! أنت هتروح تعمله محضر في القسم إن هو خاد المحل منك واحتله بدون وجه حق واحنا معانا العقد.

فؤاد:

- طب ماهو معاه عقد إيجار يا عم الفاهم!

جابير:

- كان معاه عقد إيجار، كان معاه.

نظر فؤاد إلى جابير وهم صاعدين السلالم الكهربائية الموجودة في المترو، واستغرب ما يقوله ولم يفهم أي شيء.

وصلوا إلى قسم الشرطة وتم تحرير محضر من فؤاد صلاح برغوت يتهم فيه شخصًا يدعى أمير أخذ منه محله دون وجه حق، ولا يريد أن يخرج منه.

ذهبت قوة من الشرطة مع جابير وفؤاد إلى المحل، ودخلوا على أمير الذي كان يجلس بيده سيجارة حشيش أخفاها عندما رأى الشرطة، سأله الضابط:

- أنت أمير؟

فردّ أمير وهو يتفحص جابير وفؤاد:

- ايوه أنا.

أكمل الضابط:

- أنت خدت المحل ده بالقوة من صاحبه فؤاد؟

وأشار إلى فؤاد.

فضحك أمير ضحكة سخرية وقال:

- لأ ياباشا معلش أصله تعبان شويه، أنا مأجره منه؟

أكمل الضابط:

- طب فين عقد الإيجار؟

أمير:

موجود يا باشا.

وفتح أمير درجًا موجودًا في آخر الفاترينه من أسفل، وأخذ يبحث عن العقد لكنه لم يجده واحمرّ وجهه، ثم نظر إلى الضابط وقال:

- كان هنا يا باشا والله!

الضابط:

- طب تعالى معايا.

أمير:

- آجي معاك فين يا باشا واسيب المحل لمين؟! أنا مأجر المحل منه بس هو راكبه عفريت واهبل.

وضع جابير يده على يد فؤاد لكي لا ينفعل من الكلام، ثم قال الضابط:

- هتطلع العقد ولا لأ؟ هو معاه عقد الملكية ومتوثق، طلعه وأنا اسيبك وامشي.

أمير:

- يا باشا ما أنا ممكن أكون سايبه في البيت، ينفع تيجي عليا كده وتقولي

ياتطلع العقد ياتمشي! ده عيب يعني، ده أنا بقالي سنتين في المكان واسأل الجيران.

الضابط:

- طب أنا هقفل المحل ده لحد ماتجيب العقد وتجيلي القسم.

أمير:

- يا باشا ماينفعش في عرف مين ده؟!

الضابط:

- في عرف إن ده محله.

أمير:

- يا باشا حلوا يا حلوا، محله ايه ده مجنون!

الضابط:

- طب اقفل المحل واطلع علشان مش عايز اتكلم كتير.

أمير:

- يا باشا اطلع فين يرفع عليا قضية الأول وبعدين يكسبها أنا واضع يد.

نظر الضابط إلى العسكريين الموجودين خلفه وقال لهم:

- شيلوه طلعوه بره.

دخل الاثنان العساكر خلف الفاترينه يطلبانِ منه أولًا بالذوق الخروج، لكنه زعق وقال:

- انتوا هبل ولا ايه! العقد في البيت وأنا مأجر المحل منه مش هطلع.

ودفع العسكري بعيدًا ثم نزل إلى الدرج الذي بحث فيه عن العقد، وأخرج

مسدسًا وصوبه نحو العساكر قائلًا لهم:

- الشرطة العسكرية تيجي تطلعني، بره أنت وهو.

حينها خرج العساكر من خلف الفاترينه ببطء، ونظر له الضابط وقال:

- نزل السلاح أنت تتسجن فيها دي.

أمير:

- بره، كلكوا بره أنت ملكش ديه دلوقتي ومحدش فيكوا ليه ديه، بره ياله أنت وهو.

كان جسد فؤاد حينها خلف جابير وهم الاثنان يقفان خلف الضابط الذي كان على رتبة ملازم أول في منتصف العشرينات، طلب منه الضابط مجددًا أن يخفض سلاحه، لكنه أصر على خروجهم جميعًا من المحل.

- بره ياله أنت وهو.

عاد جابير بظهره إلى خارج المحل، وعاد فؤاد أيضًا ولم تعد أجساد فؤاد وجابير والضابط في نفس المستوى.

أخرج الضابط سلاحه وشهره في وجه أمير.. والآن هم يرفعان سلاحهما في وجه بعض، يقول أمير له أن يخرج، بينما يطلب منه الضابط أن يخفض سلاحه. استمر صراخ أمير الذي يأمرهم فيه بالخروج، وأضاف إليه كلمات عن أن الشرطة ليس لها أي دور الآن، الأمر الذي أغضب الضابط ولم يتحرك للخلف مثل فؤاد وجابير وبدأ يرفع صوته هو الآخر طالبًا منه أن يُنزل سلاحه، وتجمع الناس أمام زجاج المحل؛ ليشاهدوا ما يحدث، ثم فجأةً أطلق الضابط رصاصة ناحية يد أمير لم تصبه، وجاءت في الفاترينه التي خلفه، حينها أطلق أمير

رصاصة ثم نزل ليختبأ تحت الفاترينه، أصابت الرصاصة فؤاد في منتصف بطنه تمامًا، أوقعته على الأرض وحينها هلع جابير لرؤية فؤاد يصاب برصاصة ونزل إلى الأرض، وأخذ يتأمل إصابته بغير وعي، لم يتوقع أن يحدث ما حدث ولكنه بعد ثوانٍ سمع ارتطامًا كبيرًا للفاترينه التي خلف أمير تقع فوقه كلها بالساعات التي فيها، كان هذا من فعل سونه الذي أتى إلى جابير ليكلمه في أذنه بينما يتألم فؤاد ويقول له:

- ايه هتعمل ايه؟

قبض العساكر على أمير وذهب الضابط ناحيته وترك فؤاد لجابير ينظر إليه ويفتح عينيه عن آخرهما ولا يفهم أي شيء حتى سمع صوت سونه صارخًا في أذنه:

- هنعمل ايه؟

نظر جابير إلى الهواء ليكلم سونه، بينما دخل كثيرٌ من الناس إلى المحل لينظروا إلى فؤاد الذي يملأ الدم جسده وهو راقد على الأرض يتكلمون عن سيارة إسعاف ويحيطونه ويحاولون فعل أي شيء له، لكن وعي جابير كان متوقفًا عند نقطة واحدة ماذا إذا مات فؤاد! ثم سمع صوت أشتان في أذنه حط ايدك على بطنه وخلي بالك لتيجي في ايدي اعمل إن أنت بتعمله أي حاجة.

وحينها وضع جابير يده على بطن فؤاد ولاحظ رصاصة تخرج من بطنه، وبدأ يحاول فعل أي شيء في بطنه وحينها كان أشتان قد أخرج الرصاصة، وبدأ في وضع عجينة على بطنه، استغرب الناس من رؤيتها.

كان الضابط يتحدث على اللاسلكي بما حدث وطلب سيارة إسعاف، ثم فجأةً وجدوا نور المحل يغلق والباب الصاج ينزل من الخارج فأصبح المكان معتمًا تمامًا، قام الناس من مكانهم متجهين ناحية النور الذي أطفأه سونه وناحية الباب الصاج الذي أغلقه وفتحوهم، ثم وجدوا سيارة الإسعاف قد جاءت، فوضعوا فيها فؤاد الذي فقدَ وعيه وركب معه جابير الذي لا يفكر إلا بمصيره إذا مات فؤاد.

انتقلت السيارة إلى مستشفى القصر العيني ودخلت من باب الطوارئ، وحملوا فؤاد إلى غرفة العناية المركزة ولم يأذنوا لجابير أن يدخل معه، دخل الدكتور الغرفة وبدأ ينظر إلى مكان الجرح فلاحظ وجود عجينة غريبة تغطي الجرح، فأخذ يخرجها من داخل بطن فؤاد، وبدأ يخيط الجرح، حينها سمع جابير صوت سونه في أذنه يقول له:

- ماتقلقش بيخيط الجرح خلاص.

كان جابير في الطرقة التي تنتهي بباب يدخلك على باب يدخلك على العناية المركزة فلم يكن يعلم أي شيء مما يحدث بالداخل والممرضون يتحركون حوله، وضع جابير يده على فمه وقال:

- أنت عملتله ايه يا أشتان؟

ولم يأته ردٌّ من أشتان.

خرج الدكتور من غرفة العناية المركزة، وعندما وجد جابير أمامه خلع الكمامة وسأله:

- أنت اللي جاي معاه؟

- اه.

- ايه اللي أنتوا حاطيتهوله في بطنه ده؟

لم يعرف جابير ماذا يقول ونظر إلى عين الدكتور مباشرة، كان يشعر بالخوف ولم يجاوب لعدة ثوانٍ ثم قال:

- مش عارف.

- العجينة دي ممكن تعمله تسمم، جلده كله حصل فيه تقرحات بسببها.

- يعني هو هيخف يا دكتور ولا ايه؟

- مش عارف مش ده كان مضروب رصاصة؟

- اه يا دكتور.

- طب قولي الرصاصة راحت فين؟ وايه العجينة اللي ماليه جسمه دي؟

- مش عارف.

فتركه الدكتور ومشى فمشى خلفه مسرعًا:

- طب هو هيعيش ولا مش هيعيش؟

- مش عارف لما نعرف ايه اللي في بطنه الأول، وليه جلده لونه بيتغير هوقلك؟

ترك جابير الدكتور يمشي ولاحظ لافتة الحمام، فدخل إلى الحمام وأغلقه على نفسه وحينها ظهر له أشتان وسونه، فبدأ يكلم أشتان غاضبًا:

- أنت سمعت كلام الدكتور؟

- ردّ أشتان:

- اه سمعت.

- اية بقى اللي أنت حطيته ده؟ وايه اللي بيحصله؟

- حطيتله لبخة سبرتو من اللي حطتهالك امبارح علشان توقف الجرح، وشلت الرصاصة بايدي علشان كانت ظاهرة.

- اللبخة دي مابتتحطش جوه الجرح.

ورفع جابير صوته وقال:

- أنت غبي!!

فاختبأ أشتان خلف سونه، وقال سونه:

- إن شاء الله هيبقى كويس.

فحاول جابير الذي يتصبب عرقًا النظر إلى أشتان الذي يقف خلف سونه:

- هتعرف يا بني تشيل اللبخة دي ولا تعالجه؟ اللبخة دي ممكن تموته.

ثم رفع صوته عاليًا:

- حد يحط لبني آدم لبخة سبرتو في الجرح أنت أهبل!!

سمع بعض الممرضين الصوت من الخارج.

نظر جابير الذي يتصبب عرقًا لأشتان وقال له:

- شوف هتعمل ايه، روح أسأل أي حد.

ثم نظر إلى سونه:

- روحوا اعملوا أي حاجة، الواد ده لو مات أنا هموت.

قال سونه محاولًا تهدئة جابير:

- ماتقلقش خلاص ماتقلقش، هنزل لحكيم تحت واجبله منه حاجة

تعالج اللبخة.

واختفيا من أمام جابير الذي خرج من الحمام بعد أن وضع على وجهه بعض الماء، فاختلط العرق بالماء وظهر كله كعرق كثيف. وجد بعض المرضين ينظرون إليه، ولكنه لم يعرهم انتباهه وذهب في اتجاه غرفة العناية المركزة، لكن إحدى الممرضات قالت له ممنوع، فعاد بظهره ليجد أمامه شيماء تضع طرحة على شعرها لا تربطها وترتدي عباية سوداء وشبشب بلاستيك يبدو على وجهها الهلع، عندما رأت جابير رفعت يديها نحوه وقالت:

- عملت في اخويه ايه يا شيخ؟! عملت في اخويه ايه يا شيخ هو احنا ناقصين! هو احنا ناقصين حرام عليك.

جابير الخائف جدًّا الذي يحاول استعادة توازنه:

- أنا معملتلوش حاجة.

فصوتت شيماء بعلو صوتها في المستشفى وقالت:

- اخويه اتضرب بالرصاص بسببك، وبعدين حطتله حاجة في بطنه بتموته، حطتله ايه؟

وهي تتكلم متلهفة تتقطع أنفاسها باحثةً عن إجابة في وجه جابير، ثم قالت بعلو صوتها:

- حطتله ايه في بطنه؟

حينها ذهب ناحيتها ممرضتان، وحاولتا إبعادها عنه، لكنها استمرت في الصويت والتخبيط على رأسها وهم يبعدونها وهي تقول:

- أنا عايزه اخويه تاني، ربنا ياخدكم كلكم، ربنا ياخدكم كلكم.

ثم وجد جابير أحد الممرضين الذكور من خلفه، يطلب منه الخروج من المستشفى.

خرج جابير من المستشفى هائمًا على وجهه لا يعرف ماذا يفعل، فكّر في الذهاب إلى آية في مكتبها، وفكّر في الهرب، وفكّر في كل شيء، وأخذ يرى صورًا لحياته كلها، ثم لم يجد مكانًا آخر يذهب إليه إلا الشقة التي يسكن بها في دار السلام.

تظن آية نفسها أنها ليست بالجمال الذي يليق بدكتور محمد، فدائمًا ما تقف أمام المرايا ترى عيوبها فقط ولا ترى ما بها من مميزات وقدرات، إذا خرجت من البيت متجهةً إلى المكتب تقف لساعاتٍ أمام المرآة، وعندما تصل إلى المكتب تدخل الحمام لتتفقد وجهها وملابسها، تصرف كثيرًا من الأموال على الملابس وأدوات التجميل بحثًا عن الأفضل.

دخلت آية إلى عيادة محمد وهي متوترة جدًّا فاليوم أتت بفكرة جديدة، هي ليست جديدة ولكنها تجربها لأول مرة بعد تردُّدٍ وخوفٍ من أن تقوم بها.

كان كالعادة يجلس في الصالة يشاهد التليفزيون على قناة نايل سبورت، وكانت تذيع إعادة لمباراة الأهلي وطلائع الجيش، جلس محمد ليتابع المباراة بتركيز كأنها تذاع مباشرة!

- مساء الخير.

قالت آية.

نظر محمد إليها، ثم حرك رأسه وقام من مكانه وقال:

- مساء النور.

فعلت ما فعلته عندما أتت إليه ومعها جابير أشارت بيدها ناحية مكتبها وقالت له:

- أنا آية المحامية إلى جنبك.

فابتسم محمد وهو يتفحص كل تلك الأنوثة وقال:

- اه ما أنا عارفك.

- أنا عايزة اعمل سناني.

- بس كده اتفضلي.

دخل إلى غرفة الكشف وأضاء النور وطلب منها أن تتفضل بالدخول، ودخلت آية وهي مكسوفة كأنها عروسة في ليلة دخلتها، أشار لها محمد على الكرسي وقال لها:

- اتفضلي.

فجلست آية على ذلك الكرسي كرسي أطباء الأسنان الذي تجلس عليه وكأنك تنام، جلست آية في خوفٍ ووضعت شنطتها على كرسي بجوار هذا الكرسي، وأخذت تتفحص محمد وهو يحرك أشياء على المكتب، ثم أتى ليجلس على الكرسي التي تضع آية شنطتها عليه وقال لها وهو مبتسم:

- عايزة دي؟

فردّت آية مبتسمة:

- زي ما أنت شايف.

فأخذها محمد ووضعها على مكتبه، ونظر إلى آية النائمة أمامه على هذا الكرسي، إذا كنت تريد امتلاك شخص وتخيلت كل الأوضاع التي سيكون بها هذا الشخص وآية ما ستمتلكه فيه أكثر فأعتقد أن ذلك الكرسي هو أكثر الأوضاع الذي تستطيع امتلاك الأشخاص فيها فهو أمامك نائم على ظهره، ولكن الكرسي ليس مفرودًا لآخره، فأنت وأنت جالس مكانك على الكرسي تستطيع أن تمد يديك لتصل إلى أي مكان أسهل بكثير من أي جلسة أخرى.

نظرت آية إلى يد محمد وهو يرتدي القفاز المطاطي الأبيض ثم قال لها:

- ارفعي رأسك لفوق.

فرفعت آية رأسها ناحية السقف وقال لها:

- افتحي بقك.

فنظر محمد إلى أسنانها البيضاء تمامًا، ثم قال لها:

- ايه ده صفين لولي، مال سنانك بقى؟

فبدأت آية تتكلم بدلع:

- أصلهم ساعات بيوجعوني.

نظر محمد إلى ذلك الفم المفتوح الذي يخرج أنعم الكلمات، وإلى شفايف آية الرطبة التي لامست يديه وهو يدخلها إلى فمها وشعر بنعومة آية، وسألها:

- بيوجعوكي ازاي يعني؟

فنظرت آية إلى محمد بدلًا عن السقف في هذا الوضع التي فيه وقالت:

- معرفش بس بيوجعوني.

بدأ محمد يشعر بأن آية له، وأنها أتت تريده فبدأ يفرد سيطرته الذكورية، ويصل بيديه إلى كل مكان في وجهها كأنه يكشف عليها، وضع يده اليمنى على وجنتها اليمنى وتحسسها وقال لها:

- بيوجعوكي من هنا؟

فردت آية بكسوفٍ وهي تتأمل وجه محمد:

- ساعات.

ترك محمد يديه مكانها، ثم وضع يده اليسرى على وجنتها اليسرى وقال لها:

- طب بيوجعوكي من هنا؟

آية:

- ساعات بردوا.

فنظر محمد الذي يضع كلتا يديه على وجنتيها إلى فمها المفتوح وإلى عينيها، وتكلّم كأنه يتكلم إلى فمها وقال:

- طب بيوجعوكي منين تاني؟

فنظرت آية إلى محمد وتأملت كل شيء في وجهه وأخذت نفسها وقالت:

- بيوجعوني من كل حتة.

يا بلادي يا بلادي أنا بحبك يا بلادي..

هكذا رنّ موبيل آية لينهي تلك اللحظة الدافئة التي بينها وبين محمد.

بعد محمد يديه عن وجهها وعاد إلى الخلف، بينما اعتدلت آية قليلًا وأحضر محمد لها الشنطة، فأخذتها وأخرجت التليفون وهي على ذلك الكرسي تظهر كل تضاريس جسدها أمام محمد واضحة كأنها عروسته في ليلة دخلتهم رغم ما ترتديه آية من تونيك وجيبه!

ردّت آية على التليفون:

- ألو.

سمعت صوتًا على الطرف الآخر يقول:

- ايوه يا أستاذة آية أنا شيماء أخت فؤاد.

- ايوه يا شيماء.

- والنبي لو معاكي رقم الشيخ مصطفى تخليه يرجعلنا المستشفي علشان أنا زعلته ومكنش قصدي والله.

عدلت آية نفسها على ذلك الكرسي وجلست وقالت:

- مستشفي ايه! ايه اللي حصل؟!

- اخويه فؤاد اتضرب رصاصة والشيخ جابه وهو عايز يشوفه دلوقتي.

وقفت آية مكانها وقالت وهي مفزوعة.

- صاصة!! ايه اللي حصل يا ستي اهدي وفهميني.

- والنبي تجيبيه بس وتيجي وأنا هحكيلك على كل حاجة أو قوليلي رقمه

- وأنا هكلمه.

- طيب ماشي أنا هجيبه.

هكذا قالت آية ثم نظرت ناحية الباب فوجدت فتاة في أوائل العشرينات، شعرها الأسمر منسدلًا على وجهها، يظهر عليها أثر الرقة، تنظر في الغرفة واستغربت آية جمالها، ثم وجدت الدكتور محمد يقوم ليسلّم عليها ويقول:

- ازيك يا لمياء؟

فسلمت عليه لمياء مبتسمةً؛ مما أثار غضب آية، ثم أدخلها إلى الغرفة وأجلسها، فشعرت آية بالامتعاض أكثر وقالت له أن هناك مشوارًا ضروريًا ستقوم به، ثم ستعود إليه مجددًا ونظرت إلى الفتاة نظرة أخيرة وخرجت.

عاد جابير لارتداء الجلابيه البني التي رأها لأول مرة تحت الأرض وهي جلابيه مصنوعة من قماش الدبلان، سمع جابير خبط على الباب وهو في البلكونة فذهب ليفتح الباب وإذا به يجد آية أمامه، أدخلها إلى الشقة وجلست على الكنبة، أول ما فعلته أن أخرجت سيجارة من العلبة المالبورو الأبيض وأحرقتها، وبدأت في تنفيس دخانها.

ذهب جابير ليجلس بجوارها تحت الإضاءة النيون التي لا تظهر أي من الآيات المكتوبة بدم الجمال على الحائط قالت:

- ايه اللي حصل بقى عايز افهم.

نظر إليها جابير وإلى توترها ونظرت إليه ولمحت الجرح الغائر الموجود في وجنته وهذا لم يهدأها وجعلها تتوتر أكثر.

- مفيش، روحنا نجيبله المحل الواد ضرب رصاصة على الظابط جات في فؤاد.

رفعت آية حواجبها حتى كادت تلمس شعرها وظهر عليها كل علامات الاندهاش مما تسمع.

- ظابط ايه ومحل ايه! فهمني والنبي علشان أنا غبية.
- أنا عرفت أجيب عقد الإيجار بتاع المحل اللي الواد مأجرة منه، أصلًا الواد ده كان مفروض يمشي لما فؤاد يقولوا امشي وسرق حاجات من المحل خدنا عقد الملكية بتاع الوله وروحنا القسم بلغنا إن الواد..

فزعقت آية بعلو صوتها:

- روحتوا القسم! روحتوا القسم ازاي يا بني؟! أنت عليك حكم إعدام

ومعكش بطاقة تخش قسم برجلك!!

توقف جابير تمامًا عن الكلام ولم يستطع فتح فمه بينما تحملق آية في وجهه بكل قوة.

- ردّ عليا عقلك جابك ازاي تروح قسم! أنت مالك ومال أم المحل بتاع الوله؟ أنت تتنيل تضحكه أو ترقعه علقة يعيط، تتنيل يتشال عنك الحكم، وريتوا عفاريت وخليته يتضرب عليه نار أنت بتعمله ايه، بترجعله حياته ولا بتاخدها منه!!

نظر جابير إلى آية وبدأ يستجمع قواه ليتكلم:

- وأنا أعرف منين ما أنتي سايباني.
- يعني ايه أعرف منين؟!

قام جابير من مكانه وبدأ يعلو صوته هو الآخر، ولكن في ضعفٍ شديدٍ:

- يعني أنا جني مش بني آدم، مليش دعوة بحياتكم معرفش حاجة عنكم لما ابقى في جسم بني آدم لازم حد يفهمني اعمل ايه، لازم حد يفهمني أنتوا بتعملوا ايه، وأنتي سايباني، أنا طيار..

وأشار بيديه نحو السماء وقال:

- الأرض كلها مبتكفنيش بقعد فوق في السماء.

ثم نظر بعيدًا عن آية وعاد مجددًا للنظر إليها:

- أنتي مفروض مكنتيش تسيبيني لو عايزاني اطلع براءة، بس أنتي مش عايزة.

فعلا صوت آية وقالت:

- مش عايزة ازاي! طبعًا عايزة وأنت عارف أنا عايزه ليه، وعايزة اد ايه.
- يعني أنت لو الواد قالك إن هو بيحبك هتيجي تساعديني ولا هتسبيني،

فنظرت آية إلى جابير ولم تستطيع الكلام، فاستغرب جابير من سكوتها:

- كنت عارف عمرك ماهتساعديني.
- الموضوع مش كده.
- لأ الموضوع كده، أهم حاجة إن الواد ده يحبك، أقولك على حاجة

نظرت آية إلى وجه جابير تترقب ماذا سيقول:

- أنتي مبتحبيش الواد ده.

ظهرت علامات الاستخفاف والرفض على وجه آية وقالت:

- بس ياله.
- والله ما بتحبيه.

فرفعت صوتها وقالت:

- بس يا بني، ايه هو أنا عجبتك وأنت في جسم البني آدم وعايزني ليك! أنا مش سهلة أنا أروح أجبلك حراس الأرض ولا تفرق معايا بشلم.
- عارفة ليه بقى أنا مفرقش معاكي، أنا جني ممكن مفهمش قوي في تصرفات البني آدمين تروح القسم يطلعله جني، حاجات معرفش ايه الصح من الغلط فيها، بس بفهم في معايير الجن قوي، عارفة ليه ميفرقش معاكي علشان أنتي معمولك عمل.
- بس ياله أنت والأهبل صاحبك.

- والله معمولك عمل، معمولك عمل إنك تحبي الواد ده، محدش بيحب حد كده ينزل تحت الأرض يجيب طيار علشان يخليه يحبه، إنتي عارفة يعني ايه طيار؟ عارفة اللي في ايده طيار ده بيبقى عامل ازاي؟
- ياعم متتغرش في نفسك قوي كده.
- والله ماغرور، بس أنتي معمولك عمل، وعمل باين في كل حتة فيك،مفكرتيش ثانية إذا كنتي فعلًا بتحبي الواد ده ولا لأ، علشان أنتي معمولك عمل ومش عارفة تفكري وأفعالك كلها متناقضة.

قامت آية من مكانها وقالت:

- بس يا بني أنت ريح علشان مجبلكش الجيش ولا حراس الأرض، ورفعت شنطتها ووضعتها على كتفها ولم تأخذ عليه السجاير من على الكنبة وقالت:
- شوف بقى هتحل مشكلتك ازاي مع الواد ده، أنا استعوضت ربنا فيك، وأنا خلاص اللي بيني وبين محمد قرب يتحقق.

وذهبت تجاه الباب ونظرت إليه وهي عائدة وقالت له:

- مع السلامة.

وفتحت الباب وخرجت وأغلقته خلفها.

جلس جابير وحده في الشقة بينما نزلت آية، ثم وجد سونه وأشتان يظهران له. اقترب منه سونه وهو جالس على الكنبة، ومدّ يده ووضعها على رجله وقال له:

- ماتزعلش يا طيار احنا مش هنسيبك.

ثم قال أشتان:

- ماتقلقش يا طيار والله كل حاجة هتبقى تمام.
- فرفع جابير عينه لينظر إلى أشتان، ثم وجد أشتان يقول له:
- الواد هيخف لوحده.

فسأله جابير:

- ازاي؟

فقال أشتان:

- أنا سألت تحت قالولي لبخة السبرتو بتطهر الجرح، بس ممكن تتعب جتت البني آدم شويه وميعرفش يتحرك علشان بتخشبه، بس بيبقى طبيعي.

جابير:

- يعني هو دلوقتي ايه اللي فيه؟

سونه:

- لسه جايين من عنده من المستشفى، فاق وعايز يشوفك.

جابير:

- ومش هيموت.

أشتان:

- لأ بس هيتعب شويه علشان اللبخة معمولة من نار وبعدين هيبقى أحسن من الأول.

سونه:

- هو عايز يشوفك على فكرة، سأل اختو عليك هتروحله.

جابير يأخذ نفسه ويقول:

- هو أنا ورايا غيره لازم أروحله.

يرقد فؤاد على السرير في المستشفى ببطنٍ عاريةٍ يظهر عليها خطوط حمراء قرمزية كثيرة تشق البطن طولًا وعرضًا، تظهر وتختفي وينظر إليها الأطباء ولا يعرفون ماذا يفعلون، فبعد أن خيطوا الجرح لا يعرفون إذا كانوا يعيدون فتحه مرة أخرى أم لا. أما فؤاد فكان لا يشعر بأي شيء، يجلس على السرير ينظر إلى أخته التي تعاود وضع يدها على بطنه، ثم ترفعها بأمر من الدكاترة وتقول:

- اللهم اشفِ أنت الشافي، شفاء لا يغادر سقمًا. اللهم رب الناس أذهب البأس....

ويقاطعها الأطباء دائمًا ويقولون لها:

- ياستي اهدي بدل مانطلعك بره.

نظر إليها فؤاد وسألها:

- هو فين الشيخ مصطفى؟

- جاي يا حبيبي جاي والله، هو اللي هيعرف يعالجك ماتخافش.

نظر إليها أحد الأطباء مطولًا ثم قال لها:

- يا ستي..

حينها قال له طبيبٌ آخر:

- طب تعالي سيبوه دلوقتي.

وخرجوا من الغرفة وتركوه هو وأخته التي عاودت وضع يدها على بطنه والدعاء له، ظلت تدعي وتسأله إذا كان يريد أي شيء، ولكنه لم يكن يريد شيء سوى رؤية الشيخ مصطفى الذي حضر، وعندما دخل من باب الغرفة سارعت شيماء إليه لتقبل يديه وتتأسف له:

- أنا آسفة يا سيدنا الشيخ، مكنتش اعرف إن أنت اللي انقذت حياته.

وحينها رفع جابير يديه بسرعة كي لا تقبلها، وقال لها:

- خلاص خلاص.

وذهب ليجلس بجوار فؤاد الذي ابتسم لرؤيته وسأله:

- ايه الأخبار دلوقتي؟

فردّ فؤاد:

- الحمد لله.

- حاسس بايه؟

- مش حاسس بأي حاجة!

- معلش هو وقت وهترجع تاني.

سألت شيماء متلهفة على إجابة:

- يعني هو مفيش حاجة تخففوا دلوقتي يا شيخ؟

جاوب جابير دون أن ينظر إليها وكان يتأمل الخطوط التي تشقُّ بطن فؤاد:

- الوقت اللي هيخففوا ماتخافيش هيخف.

ثم وضع جابير يده اليمنى على بطن فؤاد، فنظرت شيماء بكل تركيز على يده وهي تتحرك على بطن فؤاد منتظرة الشفاء، لكنه بعد أن حرك يده على بطن فؤاد قام بتغطيتها ببطانية، نظر جابير إلى شيماء ثم قال لها:

- ممكن اقعد أنا وهو لوحدنا؟

ردّت شيماء بلهفة شديدة:

- طبعًا يا اخويه وماله.

ووضعت يدها على الباطنية التي غطت بطن أخيها وحركتها قليلًا عليها، ثم خرجت تتمتم في سرها بأدعية بأن يشفي الله أخاها.

اعتدل جابير في جلسته وقال:

- أنا مش عارف اللي أنا بعمله ده غلط ولا صح، بس أنا معدتش شايف طريق تاني امشي منه.

زاد تركيز فؤاد النائم على ظهره وبدأت تتسع حدقتا عينيه:

- بص يا فؤاد أنا مش بني آدم، أنا جني زيي زي سونه اللي أنت شفته،

- وأنا مش معاك بمزاجي، أنا معاك غصب عني.

- أنت جني ازاي يعني؟!

- أنا جني محبوس في جسم بني آدم، عليا حكم، الحكم ده إني أرجع لبني آدم حياته اللي كان بيعيشها قبل ما يتمس بالجن، وأنت كنت البني آدم ده، ومدتي كانت أسبوعين عدي منهم حوالي أربع أيام لو مقدرتش بعدهم أرجعلك حياتك، أنا هيتحكم عليا ب 300 سنة سجن.

كان فؤاد في قمة التركيز وهو يستمع إلى كلمات جابير، ثم قال بتروٍ

- يعني أنا لو مرجعتش أقف في المحل هيتحكم عليك بكده؟

- مش بالظبط.

- امال؟

- أنت قلبك معدش بيحس، معدتش بتضحك أو بتعيط مهما

حصل، صح؟

بدأ فؤاد يفكر ثم قال:

- مش عارف ممكن اه.
- لأ هو مش ممكن هو اه، أنت قلبك معدش بيحس كأنه ميت، والقلب الميت ده قلب مريض.
- بس أنا خفت بجد لما شفت عفاريت.
- أي إنسان لو شاف عفريت حقيقي ممكن يموت من الخضة أنت أغمى عليك بس ولو نزلت مملكة الجن كلها دلوقتي مش هيحصلك حاجة.
- هي فين مملكة الجن دي؟
- تحت الأرض بس ده مش موضوعنا، أهم حاجة دلوقتي إن أنت تعيط من قلبك أو تتضحك من قلبك، وأنا معنديش حيله اعملها علشان كده قلتلك، يمكن تعرف وتساعدني علشان لو ما ساعدتنيش نهايتي هتبقى وحشه.
- طب أنا في ايديا ايه اعمله؟

حينها ظهر سونه من الفراغ ليقف بجوار جابير:

- ياعم اضحك أو عيط.

شعر جابير بالفزع ولكن فؤاد لم يشعر بأي شيء.

ردّ فؤاد:

- طب ياعم ضحكني وأنا اضحك.

اقترب سونه من جابير وقال له:

- اقوله نكتة؟

جابير:

- تفتكر حل مشكلتي كلها في نكتة يا سونه؟

قال فؤاد:

- أنا بصراحة كانت رجعتلي الروح تاني لما كنت هرجع أقف في المحل، وكنت ممكن أرجع تاني مبسوط وأمشي في الشارع لوحدي ومخافش من الناس إن هما يتريقوا عليه.

حينها ظهر أشتان من الفراغ ليقف بجوار سونه ويقول:

- أنت مش هينفع تتحرك من مكانك لمدة أسبوعين.

ارتفعت حواجب فؤاد وهو ينظر إلى أشتان القزم واستغرب نظارته لكن شيئا لم يحدث له، وقال:

- مين ده؟

فردّ سونه وهو يطوق بيده ذراع أشتان:

- ده أشتان صاحبي، حلو بردوا ماتخافش منه.
- ياعم أنا مش خايف.
- شعر جابير بالأسى الذي هو فيه من عدم قدرة فؤاد على الحركة، وأنه سيظل ثابتًا مكانه مدة، وأنه لن يستطيع فعل أي شيء له طيلة هذه المدة، ثم وجد فؤاد يتكلم وهو ينظر مباشرة إلى عينه:
- أنا عارف إن أنت أنقذت حياتي، وأنت اللي طلعتلي الرصاصة من

جتتي، والدكاتره قالولي إن أنا كان مفروض أموت، أنا مديوونلك بحياتي وهعمل أي حاجة علشان اساعدك.

* * * *

مرّت عدة أيام على جلوس فؤاد في المستشفى يلتفون حوله نهارًا يتمنون أن يضحك على أي شيء يحدث أو يبكي على أي شيء لكن دون جدوي، ثم تنتهي مواعيد الزيارة فيخرجون من المستشفى ولكن سونه وأشتان يسهلون دخول جابير للجلوس معهُ في فترات الليل كلما بدا القمر أقرب للاكتمال شعر جابير بالخوف. بدأ يفكر في الهرب نهائيًا لأنه لم يجد من فؤاد أي فائدة فهو ساكن إذا ضحك شعروا جميعًا في نهاية الضحكة أنه يصطنع الضحك، ولو ظهرت عليه علامات الحزن شعروا أنه يصطنع الحزن.

سأل سونه جابير وهما متجهانِ ناحية غرفة فؤاد:

- طب وأنت هتعمل آية يا طيار النهاردة.

كان الظلام دامسًا وهم يتحركون في جنينة المستشفى.

- أنت شايف في ايه يتعمل يعني؟
- طب الواد ده كده ما تزعلش مني مفيش فيه أمل.
- أهرب يعني ولا ايه؟
- كلم البت المحامية يمكن تعرف تعمل حاجة.
- أنت مش كنت واقف ياعم، دي خلاص رمياني في الزبالة.

تكلّم أشتان:

- على فكرة ده علشان العمل اللي معمولها هي مش شايفة قدامها أي حاجة غير الواد اللي بتحبه.

جابير:

- طب وهنعملها ايه يعني؟

أشتان:

- ياعم نجيب العمل ده ونحرقه.

التفت جابير ناحية صوت أشتان ووقف مكانه وسأله:

- أنت تعرف تجيب العمل ده؟

ردّ أشتان:

- أجبلك أمه أنا معايا ريحتها من علبة السجاير اللي نسيتها عندنا.

جابير:

- وهتجيبه في اد ايه يعني؟

سونه:

- ايه ياطيار هو أنت علشان طيار يعني يبقى بقيت الجن ميعرفوش يعملوا حاجة! هنجبهولك ياعم.

جابير:

- طب روحوا هاتوه دلوقتي.

سونه:

- طب تعالى نطلعك اوضه الوله.

جابير:

- لأ أنا هعرف اطلع لوحدي.

سونه:

- بدل ماحد يشوفك من الممرضات.

جابير:

- يا بني ماتقلقش روح هات العمل وتعالى على هنا.

انصرف سونه وأشتان ذاهبين إلى الشقة ليأخذوا علبة السجاير التي بها رائحة آية، ثم يبحثون في الأرض عن العمل المعمول لها، بينما ابتهج جابير لمعرفته أنه سيستطيع مساعدة آية بغض النظر عما كانت ستساعده أم لا، تحرك جابير في جنينة المستشفى إلى باب خلفي كان مكسورًا دخل منه، ثم صعد السلالم حتى وصل إلى غرفة فؤاد ودخل إليها، جلس جابير على كرسي بجوار السرير بينما أغلق فؤاد التليفزيون، وعدل رأسه ناحيته.

- ايه يا معلم ازيك؟
- تمام أنت عامل ايه؟
- كويس.
- تكلم فؤاد ببطء قائلًا:
- أنا عارف إن الوقت بيعدي وأنا والله نفسي أعملك أي حاجة، بس مش عارف كل ما اجي أضحك بلاقي حاجة حايشاني.
- ايه الحاجة دي؟

- معرفش بس وأنا والله حبيتك ونفسي أعملك أي حاجة.
- إن شاء الله هتعرف تساعدني وتساعد نفسك وترجع تاني تتجوز وتشتغل وتصلح الساعات، هو فعلًا يا فؤاد الساعة اللي في شقتك دي ما ينفعش تصلحها؟!
- أصلحها وأنا نايم كده!
- يعني هي ينفع تتصلح؟
- نفع، بس الساعة دي أحسن ماتشتغلش.
- ليه يا فؤاد؟
- الساعة دي فيها عداد من تحت لو كنت شفته.
- اللي هو أرقام كده؟
- أنا كنت عامل العداد ده، الخانات اللي كانت فيه خانة بتعد الثواني لحد ستين وتبدأ من الأول، وجنبها خانة بتعد الدقايق لحد ستين وتبدأ من الأول، وبعدين خانة بتعد الأيام حسب الشهر لو احنا في شهر عشرة مثلًا تعد 31 يوم، وشهر اتنين كل سنه بيختلف عن السنة اللي قبلها، وبعد الخانة دي خانة بتعد الشهور، وبعدين خانة بتعد السنين، فابص على العداد اقراه من الشمال لليمين مثلًا سنة وشهرين و11 يوم وعشر ساعات وخمس دقايق وأربع ثواني.
- طب ده كنت عاملة ليه؟
- علشان يحسب الأيام والشهور والسنين اللي هنعشها أنا ومراتي كل

مانبص للساعة نعرف احنا مع بعض بقالنا اد ايه، بس لو بصيت للساعة هتلاقيها عدة ساعة واحدة بس، عشت معاها ساعة واحدة مش زي ما كنا متخيلين إن العدادات كلها هتتملى ونصفرها، كنت عامل عداد السنين لحد ستين سنة وقالتلي زوده عن كده ما ارتضش قلتلها احنا هنموت بعد ستين سنة، قالتلي لأ، كانت متخيلة إن عمرنا طويل، بس مقعدناش مع بعض غير ساعة ولما رجعت البيت رجعتها وقفتها على الساعة دي.

وضع جابير يده على رأس فؤاد الراقد أمامه وطبطب عليه وقال له:

- معلش العمر لسه قدامك طويل لو هي عايشة دلوقتي هتطلب منك تعيش حياتك وماتعملش كده في نفسك.

حاول فؤاد أن يعدل ظهره قليلًا، ونظر إلى جابير وقال له:

- هو أنت ماينفعش تخليني اشوفها؟

فردّ جابير وعيناه متسعتان حتى آخرهما:

- لأ يا فؤاد ماينفعش تقول كده حرام عليك.
- أنا نفسي اشوفها اوي.
- معلش استحمل بس ماتخشش في الأموات ربنا يرحل منك.
- هو أنت اسمك ايه اسمك الحقيقي ايه؟

استغرب جابير من السؤال وابتسم قليلًا وهو ينظر إلى فؤاد قائلًا:

- جابير رقيم الأشعم.
- عاشت الأسامي هو انتوا بتعيشوا ازاي في عالم الجن؟ الحياة شكلها

عامل ازاي؟

استطرد فؤاد يحكي لجابير عن عالم الجن، فأصاب فؤاد ذهول شديد وهو يستمع إلى ذلك العالم الذي كان سببًا في إيذائه.

- شقتك حلوة.

هكذا قالت آية لمحمد وهي معه في شقته، بينما وضع هو يده على كتفها وهي تتأمل مرآة في الصالة وقال لها:

- أنتي أحلى من أي شقة في الدنيا.

فابتسمت آية مكسوفة من كلام محمد، ونظرت في الأرض واحمرّ وجهها، ثم عادت في النظر إليه، فوضع محمد يده على وجهها وقال لها:

- ايه ده أنتي بتتكسفي؟!
- معلش بقى أصلي بتكسف منك اوي.
- مني أنا! ليه طيب؟

وأخذ يتأمل جسمها في المرآة، ثم عاد ليتأمل عينيها.

- علشان.. معرفش، علشان أنت زي القمر يعني.

ونظرت نظرة مطولة إلى عينيه تكسيها الرغبة الجامحة فيها، حينها شعر محمد أنها له تمامًا، فوضع إصبعه على شفاهها المفتوحة التي يتبخر منها الهواء؛ ليجعله يشعر بأنه أتى من منطقة شديدة السخونة.

- تشربي؟
- اشرب ايه؟
- عندي كل حاجة.

ظهر أشتان وسونه من الفراغ أمام جابير وفؤاد في المستشفى، كان سونه يحمل قماشة مثلثة الشكل تأخذ شكل السمبوكسه، لونها أحمر قرمزي، أعطاها لجابير وقال له

- ريحتها هنا، لقيتها في عيادة الدكتور.

جابير:

- ازاي في عيادة الدكتور! هو العمل ده معموله ولا معمول لها!

سونه:

- معرفش بس ريحتها وريحته هنا.

كان فؤاد يراقب الموقف ولا يفهم أي شيء، فتح جابير القماشة المبططة، وأخذ يفتح فيها ويفردها حتى أخرج منها ريشة حمامة بيضاء مكسورة ومكسوه بالدم ومكتوب عليها أشياء غير واضحة.

جابير:

- أنا مش عارف اقري اللي مكتوب.

أشتان:

- هات أما اقراه.

أخذ أشتان الجناح المكسو بالدم، وأخذ يقرأ ما هو مكتوب عليه.

أشتان:

- العمل مقلوب، العمل ده مفروض كان يتعمل للواد إنه يحب البت بس اللي كتبه، كتبه غلط، كتب اسم الوله بالعدل واسم البنت بالمقلوب مفروض يبقى العكس.

جابير:

- مش هتفرق هاتوا بقى أما نحرقه.

سونه:

- طب تعالى نحرقه بره.

فؤاد:

- طب ماتحرقوه هنا، ايه اللي هيطلعكوا بره!

جابير:

- لازم العمل يتحرق في خلا علشان الدخان بتاعه مايتجمعش مع بعضه تاني.

- أنا أصلًا مبشربش بس علشانك يعني..

قالت آية وهي تجلس على السرير وبيدها كوباية ويتأملها محمد وهو واقف بجوار ترابيزه يسند ظهره عليها لم يتأمل جمالها فقط، بل أخذته عيناه إلى كل جزء في جسدها، إلى صدرها الكبير الذي أخذ يتخيل كيف شكله، ثم لاحظت آية تأمله لها، فرجعت بظهرها قليلًا على السرير لتجعله يستمتع في التفحص في جسدها، ثم قال:

- أنتي فظيعة، أنا شفت كتير وقليل وما شفتش كده!

شعرت آية بالخضة لثانية لذكره نساء أخريات، لكنها تناست ما قاله وبدأت تسترسل في النظر إليه بدون أدب.

كانت الجنينة سوداء تمامًا، ظهرت النار لجابير على يمينه كان أضاءها له سونه وعدل جسمه ليمسكها بيده اليسرى ويحرق بها العمل الموجود في يده اليمنى، حينها ارتفع عن الأرض وشعر بمخالب قوية تمسك فمه، ثم استمع إلى أصوات سونه وأشتان يتمتمانِ بكلامٍ لم يفهمه واستمع بعدها إلى صوت فهمه وعرف أنه سمعه من قبل.

- قلتلك هتلعب معايا يبقى هتلعب بطريقتي، أتكلم عربي أحسن من كده ايه؟

كان العمل الموجود في يده اليمنى هو أهم شيء بالنسبة له وكان يحاول النظر إليه، لكن الحارس كان يحول رأسه ناحية الأمام ليراه، ثم ظهرت عيناه الحمراء من الفراغ وأصبحت مباشرة في وجه جابير.

- ايه مبتسمعش الكلام ليه؟

ثم سمع صوتًا آخر:

- أنت قلبك جامد اوي كده!

حينها وجد الجني الذي يمسك جابير نفسه يرجع إلى الخلف، وأفلت جابير من يديه ووقع العمل منه، وأخذ يبحث عنه حتى سمع صوت سونه:

- اجري اجري دلوقتي.

أخذ جابير يتحسس الأرض بحثا عن العمل وقال:

- ايه!!

لكن الحارس حكَ معصميه الذين يلتف حولهم الحديد وبداخلهم، فأصدروا شرارة كبيرة في الجنينة استطاع جابير أن يرى من خلالها العمل

وأخذه وجرى، ولكنهم كانوا خلفه، وفجأة وجد نفسه معلقًا في الهواء لا يعلم مَن يمسكه، ثم سمع صوت الجني الذي يمسكه:

- معاك عفريتين ياله هحرقهملك قدامك.

ثم قال:

- يا سرقط مسكتهم؟

سرقط:

- مش لاقي ياخزيم حد! اختفوا.

وكان جابير معلقًا في الهواء، وبدأ يشعر بأنه مقبوض عليه من وسطه، ثم وجد نفسه يلف في الهواء ليكون في وجه خزيم وأضاءت عيناه الحمراء مجددًا، ثم قال لجابير الذي يقبض على العمل بكل قوته:

- هموتك

ورفع يده ليمسك رقبة جابير.

- يالهوي أنتي جميلة اوي!

قالها محمد وهو يجلس بجوار آية على السرير ويتأمل شفاهها، ووضع يده مجددًا على وجهها واقترب منها، وبدأت شفاهه تلمس شفافها ووضع يده في طرحتها كي يفكها لها، حينها وضعت آية يدها على طرحتها كي تفكها لنفسها، بينما اقترب محمد من صدر آية بيده وقبض عليه فقالت له:

- بالراحة.

حكّ سرقط الحديدتين الذين تطوقان ذراعه، فأضاءت نارًا قوية، اقترب جابير بيده اليمنى ناحية تلك النار فلامست النار الريشة فاحترقت.

حينها قال جابير:

- اللهم حررنا من الأسر، اللهم حررنا من الأسر، اللهم حررنا من الأسر.

واحترقت الريشة كلها وسقطت على الأرض حينها ضحك خزيم وسرقط بأعلى صوتهم على جابير، بينما قرب سرقط الحديدة من وجه جابير وجعلها تلامس وجنته اليمنى فتألم جابير بشدة.

ابتعدت آية بشفافها عن شفافه وبكل قوتها ضربته بالقلم على وجهه وقالت صارخة:

- أنت أهبل ياله، أنت مش عارف أنا منين؟

- وقامت من على السرير وبدأت تعدل في طرحتها، لكنه قام خلفها وقبض عليها من الخلف بقوة، ثم فجأة وجد أمامه أشتان وسونه يظهرانِ من العدم فعاد على السرير وأغمي عليه، بينما تأملتهما آية، لا تفهم شيئًا.

سونه:

- أنتي مش آية؟

آية:

- أيوه يا بني.

سونه:

- طب الحقي جابير في حراس ماسكينه وعايزين يموتوه وهو نده اسمك فجينا نجيبك.

آية:

- فين؟

أشتان:

- في جنينة المستشفى تعالي معانا واحنا هنشيلك.

فتحوا الشباك الموجود في غرفة النوم، ووقفت آية في المنتصف وعلي يمينها سونه يربط بيده على وسطها، بينما تضع هي يدها على كتفه ومن الناحية الأخرى أشتان القزم يطوقها بذراعه، لكنها لا تطول كتفه خرجوا من الشباك وطاروا في السماء. آية تطير فوق البيوت غير مستوعبة جمال المنظر من فوق، ثم قال لها أشتان:

- ماتبصيش تحت رجلك.

آية:

- أنا حاسة إني هقع.

سونه:

- ماتخافيش.

آية وهي تنظر إلى أشتان:

- أنا آسفة يا صغير أنت، مش عارفه اسمك.

سونه:

- اسمه أشتان.

آية:

- آسفة يا أشتان، أنا طلع كان معمولي عمل بجد.

وصلوا إلى جنينة المستشفى وكان جابير يتقلب على الأرض ينزف دمًا من

أماكن كثيرة في جسمه، نزلت آية ووقفت على رجلها وكانت في اتجاه جابير، لكن سونه قال لها:

- لسه واقفين كلمهم.

فنظرت آية إلى الهواء وسرقت نظرة إلى جابير الذي يتألم، ثم عادت للنظر في الهواء وقالت:

- أنا آية الشرقاوي المحامية مسجلة في البهو الضيراني لعام 2010، يعني محامية تحت لو ماسبتوش الإنسي ده، أنا مش هسيبكم وهوديكوا في داهيه.

حينها ظهرت عين خزيم الحمراء قبل أن يظهر جسده وقال:

- ده ساحر يا شاطرة تخصصنا مينفعش نسيبه يأذي الناس، لازم نعاقبه.

آية بفزع:

- لأ حضرتك ده مش ساحر، ده جن طيار وعليه عقوبه بينفذها في جسم إنسان.

تمتم سونه بسرعة:

- ماتقوليلوش.

حينها بدأ خزيم في اللف حول جسد جابير:

- أنا سمعت كده بردوا، بس مقدرتش اعرف هو فين، أنا بموت في الطيارين.

وضحك هو وسرقط ونظر على جسد جابير الذي ينزف كثيرًا من الدماء

وبه عدة حروق، وقال:

- يعني كده كده جايلي في الآخر وماله شكرًا يا أستاذة على المعلومة القيمة دي.

ونظر إلى الهلال الموجود في السماء، وقال:

- قالولي إنك هتبقي ملكي لما القمر يكتمل، معدش كتير.

واختفوا من أمامهم ونزلت آية مسرعة إلى جسد جابير الذي ينزف كثيرًا من الدماء وأخذوه إلى داخل المستشفى؛ ليعالجوه وقاموا بتضميد جروحه وانتهى الأمر به يجلس في غرفة واحدة مع فؤاد وذلك بعد إلحاح من آية على الدكتور، وقام الدكتور بنقلهم إلى غرفة واحدة أكبر حجمًا تسعهم معًا.

منظر جابير وهو نائم على السرير ويغطي جسمه كمٌّ كبير من الضمادات لتغطية الحروق والجروح يُوحي بالخوف الشديد، أصاب الخوف فؤاد عندما رأهم وهم يضعونه على السرير، وأصاب الخوف أيضًا شيماء عندما أتت لتجد الشيخ مصطفى في تلك الحالة، وأخذت تدعي له بالشفاء، وكان جابير أو مصطفى فاقدًا للوعي تمامًا، ولكن أشتان أحضر عددًا كبيرًا من اللبخات ليضعها حول جسمه لتخفف له آلام الحروق، فتلك اللبخات كانت متوفرة بكثرة في عالم الجن؛ لأن الحراس دائمًا ما يحرقون الجن بالنار عندما يقبضون عليهم ويستطيعون إشعال نارًا كبيرة، ويقذفون الجن بها لتصيبهم وتحرقهم وتجعلهم غير قادرين على الحركة.

فتح جابير عينًا واحدة فكانت الأخرى محروقة ومربوط عليها شاش ليغطيها ليجد أمامه آية تجلس على الكرسي المجاور لسريره، ابتسمت آية عندما فتح عينه وقالت له وهي تضع يدها على يد كانت غير مربوطة وموضوعة على بطنه:

- حمدا لله على السلامة.

- الله يسلمك.

نظر سمير زوج شيماء الواقف في آخر الغرفة إلى قبض آية على يد جابير، وحرّك فمه وعينيه متهكمًا على آية، ثم قالت زوجته التي كانت تجلس على كرسي بجوار سرير أخيها ووقفت عندما سمعت آية:

- حمدًا لله على السلامة يا شيخ مصطفى.

حينها لفّ جابير حدقة عينه في كل الاتجاهات لتتسع حجم الغرفة وكل من فيها فشاهد سمير وشيماء، ثم حرك رقبته ليجد فؤاد يجلس على السرير المجاور له ينظر له ويبدو أنه بدأ يحرك ظهره قليلًا:

- حمدا لله على السلامة.

قالها فؤاد مبتسمًا:

- الله يسلمك يا فؤاد، الله يسلمك.

والأخيرة كانت لأخت فؤاد.

ثم لاحظ سمير يتكلم بعد أن نظرت له زوجته:

- حمدا لله على السلامة يا باشا.

فتحول نظره إليه وقال:

- الله يسلمك.

اقتربت شيماء منه ووقفت على حافة السرير قائلة:

- أنا عارفة إن هما كانوا كتير وأنت حرقتهم كلهم، ربنا يباركلك يا شيخ والله.

عاد جابير برأسه للخلف ووجد يد آية ما زالت تقبض على يديه، ونظر إلى عينها مباشرة فوجدها تقول:

- أنا آسفة علشان فهمت غلط.
- ولا يهمك، أهم حاجة أنتي حسيتي بتغيير؟
- كان شبشب والله.
- بس أنتي اللي عاملهوله؟

حرّكت رأسها بالنفي:

- لأ ما اصحابك قالولي.

ولم ترد أن تذكر أسماءهم أو الإشارة إليهم.

- ستي تقريبًا اللي كانت عاملاه، مش عارفه عملته ليه يعني ياله أهو ربنا رحمها، ميجوزش على الميت غير الرحمة.

حينها فتح الباب دون تخبيط وكان وجهًا لشابٍ أسمر في منتصف الثلاثينات وكان داخلًا إلى الغرفة، لكنه عاد خطوة وقال وهو يتفحص كل من في الغرفة:

- هي دي مش اوضه سعيد رواش؟

فردّت آية وكان حينها يتفحص جابير الملثم:

- لأ.. اللي كان هنا خرج امبارح.

ظلّ الشاب يتفحص جابير بعينيه، ثم أتى صوت سمير من الخلف:

- مش موجود في الاوضه دي ياريس.

فعاد بظهره إلى الخلف قائلًا:

- خلاص ماشي.

وخطف نظرة سريعه على كل من بالغرفة وخرج، قالت آية لجابير برقة كأنها شيماء وتتحدث إلى فؤاد:

- أجبلك تاكل؟
- مش قادر.

ثم قال بصوتٍ ضعيف:

- احنا هنعمل ايه معدش إلا خمس ايام!

فنظرت إليه آية نظرة مطولة وقبضت على يده بقوة أكثر قائلة:

- ماتخافش إن شاء الله هتتحل، واديك جنبه أهو وهتفضلوا مع بعض اليوم كله.

خبطتان على الباب، ثم تفتح ممرضة سمينة، بدلة تمريض لونها بامبي، وبها خطوط زرقاء تقول:

- معدش إلا ربع ساعة على ميعاد الزيارة.

كلمتها شيماء وهي تشير على جابير:

- ده لسه فايق دلوقتي.
- مينفعش يا مدام دي قوانين.

وخرجت من الغرفة.

- عايزك تجيلي بعد الزيارة.

قالها جابير لآية التي ردّت قائلة:

- ازاي؟

- هما هيجبوكي.

- اه اصحابك، طب هما هيظهرولي فين؟

كانت آية تقترب بفمها بشدة كي يسمعها هو فقط.

- هما هاتلاقيهم هنا دلوقتي لما يظهروا هبعتهملك.

- طب أجبلك حاجة معايا؟

- لأ لأ.

نظر سمير إلى آية التي تجلس على الكرسي وجسدها كله ناحية الأمام في اتجاه جابير وأخذ يتأملها وهي تتهامس معه وقال في سره:

- عليا النعمة شرشر.

انتهى ميعاد الزيارة وخرجوا تاركين جابير وفؤاد مع بعض ينامانِ على ظهرهما وينظرانِ إلى سقف الغرفة، ثم فجأة ظهر لهم سونه وأشتان من العدم، اقتربا هم الاثنان من جابير.

سونه:

- حمدا لله على السلامة.

أشتان:

- - حمدا لله على السلامة

جابير:

- يا جدعان أنا مكنتش بحج ايه كمية (حمدا لله على السلامة) دي،

ثم لف رأسه ناحية اليمين ليرى وجه فؤاد وقال له:

- على فكرة ده كان أفيه مفروض كنت تضحك.

وابتسم فؤاد ثم عاد جابير للنظر إلى سونه وأشتان وقال لهم:

- روحوا هاتولي ايه.

أشتان:

- هو احنا لسه هنشيلها تاني دي تقيلة اوي.

سونه:

- ياعم هنشيلها فين هنعديها من على السور بس ياللا ياعم.

ثم نظر إلى جابير وقال له:

- عايز حاجة تاني؟

- لأ شكرا.

اختفوا من أمام جابير وساد الهدوء لبعض لحظات، ثم بدأ فؤاد يتكلم وهو ينظر ناحية السقف:

- أنا عارف اد ايه أنا مقصر معاك، بس أنا والله مفيش في ايديا حاجة أعملها. أنا حاولت كتيرأفرد وشي وأضحك، وحاولت افتكر أي حاجة ضحكتني وبلاقي حياتي وظروفي في وشي بتقولي هتضحك على ايه، بتربط قلبي وتخليني ما احسش، وكل ما افكر أعيط افتكرهم وهما بيقلولي عيط لما مراتي ماتت، عيط علشان الحزن ميتكتمش جواك ومتعرفش تخرجه بعد كده تعرف إن أنا مرحتش دفنت مراتي ولا خدت عزاها! كنت نايم نفس النومة اللي نايمها دي، عارف لولا

إن أنت طلعتلي في حياتي أنا مكنتش استحملت النومة دي تاني، مكنتش كلت وشربت لحد مامت.

كان جابير ينظر إليه بصعوبة شديدة وهو يلف رقبته ناحيته:

- حرام عليك يا فؤاد ماتقلش كده وتموت كافر علشان ايه يعني! يا فؤاد أنا نفسي أساعدك مش علشان أساعد نفسي بس، والله نفسي ترجع تاني كويس أنا كنت بستهون باللي الجن بيعملوه في الإنس، بس معرفش إن هو بيسيب علامات كبيرة قوي كده.
- أنت عمرك اذيت إنسي يا جابير؟
- والله لأ، أنا كنت الحمد لله بساعد الإنس، وكنت بجيب الأعمال اللي محدش بيعرف يجيبها.
- امال أنت ليه محكوم عليك؟
- ظلم، بس يعني ربنا بيحاسبني.
- بيحاسبك على ايه؟
- أنا مقتلتش الحاوي.
- الحاوي مين؟
- الإنسي اللي متهمني فيه، بس أنا كنت بشتغل مع واحد تاني واحنا عندنا حرام نظهر لإنسي أو نديله قدراتنا بأي حال من الأحوال واللي بيعمل كده بس الجن الكافر اللي بيعبد الشيطان، ودول بياخدوا مقابل ظهورهم كفر، اللي بيطلعهم وبيخلوه يعمل حاجات كافرة علشان يرضوا اللي هما بيعبدوه.

- طب ما أنت مسلم، ليه عملت كده؟!
- أنا كنت بشتغل مع شيخ اسمه العلمي العلمي، ده كان بيفك الأعمال اللي عملها الحاوي.
- اللي أنت متهم فيه؟
- اه بس العلمي قتل الحاوي، والحاوي ده الحراس كانوا بياخدوا منه حاجات فاتهموني فيه.
- سؤال بقى والنبي، ايه بقى الحاجات دي اللي بتروح وتيجي بينكم؟ يعني أنت بتقبض ايه مثلًا؟
- بص، عالم الجن زي عالم الإنس في أكل وشرب، ودول مش بيلاش في بيوت بتتبنى تحت الأرض، في ناس بتشتغل في الفلك، في الطب بتاخد حق مابتعمله الجن بيدفعوا وياخدوا.
- ايه بقى بيدفعوا وياخدوا ايه؟
- عملة تديها الجني ينزل يشتري لنفسه بيت تحت الأرض، يجيب
- عضم.
- أنتوا بتاكلوا عظم، طب والعضم ده بفلوس؟
- اه بس ما اسمهاش فلوس اسمها اعم.
- اعم!
- لأ.. اكسرها قول بعد الألف ياء ايعم.
- ودي مصنوعة من ايه دي؟!

- دهب شفاف جواه نار مابتطفيش.
- ودي بتساوي ايه دي؟
- بتساوي الحاجات اللي بتشتريها، العضم، النار اللي بيتبنى بيها احنا
- بنبني من النار لازم أي بيت أي حاجة النار تبقى من مكوناتها، تساوي العلاج، اللبخة، الدوا اللي هتشربه، تساوي حاجات كتير.
- طب ما الحاجات دي ممكن تجيبها من عندنا وبسعر رخيص أوتاخدها ببلاش. بص، مفيش حاجة ببلاش علشان العضم ده أنت متخيله رخيص هومش العضم كله بيبقى عضم جايس وخرفان ده ببلاش أصلًا العفريت الترابي بيطلع يعيش على الأرض علشان ياكل عضم من ده ببلاش بس في عضم صقر، عضم نسر، عضم النعام، في عضام أسود دا أغلى عضم متوفر، في حاجات تانية مش موجودة أنت
- ماتسمعش عنها.
- عظم تنين مثلًا.
- مشكلتك إن أنت بتقفي وما بتضحكش، في عظم نورس تسمع عنه؟
- اه.
- ده أغلى أكل العضم، وفي الروث مخلفات الحيوانات.
- ايه القرف ده!
- ياعم ماتعملناش فيها من جاردن سيتي بقى، أنت كنت عايش في

دار السلام.

- روث يا جابير!
- ياعم أنا مباكلوش بس بيتاكل.
- طب اللي أنت كنت بتشتغل معاه ده كان بيديك بقى ايعم؟
- اه.
- وده حرام؟
- ممنوع، مينفعش جني يشتغل مع الإنس، أنا طيار مثلًا أروح أجيب عضم صقر وابيعه واكسب، بس أنا استسهلت إن أنا أجيب أعمال، وربنا بيعاقبني أهو.
- طب والرجل اللي أنت كنت شغال معاه ده لسه صاحبه؟
- العلمي لأ، الله يرحمه ميت من مدة.

فُتح باب الغرفة ووجدوا آية تدخل، ثم يغلق الباب وحده وظهر سونه وأشتان في الغرفة.

سونه:

- جبنهالك اهيه ياعم.

ابتسم جابير لرؤية آية التي جلست بعد أن سلّمت عليهم، ووضعت الكرسي في المنتصف بين السريرين ليكون وجهها مقابلًا لهما جابير على يمينها وفؤاد على يسارها، أما سونه وأشتان فكانوا يقفوا خلفها.

نظرت آية إلى فؤاد وقالت له:

- ايه مش ناوي تضحك؟ لو مضحكتش أنا هاكلك علقة وأنت

مربوط كده هخليك ما تبطلش عياط.

ابتسامة فؤاد دائمة غير معبرة ولا تعبر عن أي سعادة خلفها.

سونه:

- والله كان زماني قمت بيه من زمان.

- آية وهي تضع يدها في شنطتها لتخرج الموبيل:

- طيب.

ثم أخرجت الموبيل ونظرت إلى فؤاد الذي يحدق في وجهها بقوة جعلتها ترتبك وتعدل من طرحتها وتتوتر قليلًا، لكنها نظرت في الموبيل مسرعة وقالت:

- بص، شوية نكت بقى لو ماضحكتش هعورك.

- ذهب أشتان وسونه ناحية فؤاد وجابير ليقفوا بجوارهم كي يروا آية التي ستقرأ نكتها لفؤاد، لكنها كانت تشعر بتوتر لنظرات فؤاد لها، وكانت تباعد بين النظر له وبين النظر للموبيل.

- اسمع دي:

بيقولك العالم كله بيعمل ثورات، ولبنان بتعمل استار اكاديمي.

ثم نظرت إلى فؤاد بعد النكتة، ووجدته يبتسم مجاملة دون ضحك وتركيزه الأكبر مع وجهها مما جعلها تعدل الطرح مجددًا.

سونه:

- آية كملي النكتة.

آية:

- أكمل ايه يا بني خلصت.

أشتان:

- طب دي فيها ايه بيضحك؟!

آية:

- طب ماتوجعلناش في دماغنا في غيرها اسمع دي.

لاحظ جابير النائم على السرير توتر آية الزائد مع تركيز فؤاد عليها ونظر إليها ونظر إلى فؤاد، ثم قالت:

- حسني مبارك هي مفروض إنها اتعملت قبل الثورة ماتخلص

جابير:

- اخلصي

آية:

- اهدي.

ثم أكملت:

- حسني مبارك بيكلم أحمد شفيق قاله: حولت الفلوس كلها بره؟ قاله: حصل ياريس. وبعت الأراضي؟ حصل ياريس. وهربت المجوهرات؟ حصل ياريس. قاله طب ودي المسلمين السعودية والمسيحين امريكا واقفل وتعالى.

عندما انتهت من النكتة رفعت رأسها لترى تعابير وجه فؤاد ولاحظت أنه يبتسم ابتسامة متصنعة، لكنه ما زال يتأمل ملامحها بدقة.

سونه:

- على فكرة نكتك كلها حمضانه.

قال فؤاد وهو ينظر إلى آية:

- اقولك أنا نكتة؟

فحركت آية رأسها بالموافقة، ووجّهَ جابير نظره إليه وقال فؤاد:

- كان في واحد عنده ديك كل يوم الصبح الساعة 7 يصحيه، ويقولوا كوكو كوكو، فجيه يوم الديك ماصحاش صاحبه، فقام صاحبه واخده للساعاتي وقاله عايزك تصلحلي الديك ده علشان ماصحانيش النهاردة، فالسعاتي قال الرجل ده مجنون ولا ايه، وقام واخده منه وقاله ماشي وبعدين دبحه وكله وخاد العضم بتاعه ربطه وعلقه قدامه، كل لما يجيله صاحب الديك الساعاتي يشاور على العضم، ويقوله والله فكه وشغال فيه اهو.

ضحكوا جميعًا ولم يتبقَ إلا فؤاد مبتسمًا، ينظر إلى وجه آية التي ظلت تضع يدها على طرحتها وتنزلها لتعدلها.

جابير:

- مابتضحكش ليه ياعم، طب أعملك ايه طيب؟

نظرت إليه آية وقالت:

- احنا لازم نضربه علشان يعيط ونريح دماغنا.

فقال لها فؤاد:

- أنت شبه شيماء أختي.

فرفعت آية حواجبها مستغربة تستعرض جمالها الفائق وجسمها الرياضي أمام جمال شيماء الباهت ونحافتها الشديدة، وقالت:

- ازاي يعني مش حاسة بكده!

أكمل فؤاد:

- مش عارف بس عندي إحساس بكدا.

جابير:

- ياعم هو أنت بتحس! أنت مابتحسش.

فنظرت آية إليه وهي تبرق كي يتوقف، وكان جابير يتكلّم على سبيل المزاح، لكن الكلام أصاب شيئًا في فؤاد الذي قال:

- ياعم أنا أعمل ايه يعني هو بايدي.

سونه:

مش قصده يافؤش، الطيار بيهزر معاك.

لفّ جابير رقبته بقوة كي ينظر إلى فؤاد:

- اوعى تزعل.

فؤاد:

- لأ ياعم أنا أزعل من ايه بس، أنا والله ما في حاجة بايدي.

آية:

- ولا في حاجة في ايدينا ياعم، كل حاجة بايد ربنا.

استمر الحديث بينهم، يبحثون عن أي شيءٍ يُضحك فؤاد أو يُبكيه، ولكن دون أي أمل، ولكن النظرات التي جمعت بين فؤاد وآية كانت مسار اهتمام لكل الجالسين، فسونه وأشتان استغربوا الكسوف الذي يظهر على وجه تلك المحامية التي تعمل فوق وتحت، وجابير شعر ولو ببصيص أمل أنه من الممكن

أن يعود قلب فؤاد يشعر من جديد على يد آية. أما آية فلم تعرف ما حدث لها. لماذا ارتابت من نظرات فؤاد رغم أنها لم ترَ أي شيءٍ فيه قبل اليوم وكانت قابلته عدة مرات، ولكن ما حدث لآية من نظرات طبيعية من فؤاد لم يقصد بها أي شيءٍ هو أنها بدأت ترى رجالًا آخرين في الحياة، فعيناها لم تكن ترى في الحياة سوى رجل واحد هو محمد، أما الآن فتحرر قلبها وفكرها من الأسر التي كانت واقعة فيه، وأصبحت ترى رجالًا وأصبحت تشعر بالكسوف من نظرات الرجال التي تتابعها كما تشعر كل الفتيات، تحررت آية من أسرها وتبقى فؤاد الذي لا يعلم كيف سيعود من جديد للحياة، وكيف سيزال الغشاء من حول قلبه ليجعله يعيش إنسانًا طبيعيًا كما كان من قبل.

بوابة المستشفى الحديدية تودى بك إلى جنينة ثم إلى مبنى المستشفى الداخلي، لا تستطيع المرور من البوابة الحديدية الأمامية؛ لأن بها أفراد أمن يسألونك إلى أين أنت ذاهب، وإذا لم تكن دكتور أو عامل بالمستشفى أو لم تكن في ميعاد الزيارة لن تستطيع الدخول بسهولة، ولكن ميكروباص مرّ كالطلقة من ذلك الباب جعل عمال الأمن يبعدون بسرعة من الباب خوفًا من أن يصابوا إذا اصطدم بهم، وصل حتى الباب الداخلي من المستشفى ونزل منه سبعة أشخاص يحملون بنادق آلية ومسدسات، أطلقوا النيران في الهواء فدوى لها صوتًا رهيبًا أبعدَ كل من في المستشفى من أمامهم، اختفى كل الأشخاص تمامًا وأصبح مدخل المستشفى كالعراء، دخلوا إلى الاستقبال وذهب أولهم إلى ذلك المكتب الرخامي الموجود في الاستقبال الذي من المفروض أن يجد خلفه أي شخص، وظل يقول وهو يخبط بيده عليه:

- فين مصطفى العربي؟ فين مصطفى العربي؟
- داخل غرفة مصطفى لم يستمعوا إلا لأصوات الرصاص المنتشر في الهواء، ولم يفهموا أي شيء، وطلبت آية من سونه أن يذهب ليعرف ما يوجد بالخارج وكان بالخارج هذا الشخص ما زال يهلل:
- فين مصطفى العربي؟

حتي نظر إلى شخص خلفه وقال له:

- هو قالك لقاه في اوضه كام؟

فردّ عليه:

- مايه وواحد، متين وواحد، ماية، ماية واحد وعشرين، مش فاكر.

وأطلق الأول النار في سقف المستشفى ليتلف عددًا كبيرًا من المصابيح وأخذ يصيح:

- انتوا ياعالم ياوسخه فين العربي؟

عاد سونه إلى الغرفة وأخبرهم بما يحدث في الخارج، وطلب منهم أن يقوموا من سريرهم ليرحلوا، وجدوا صعوبة في ذلك، ولكنهم جعلوهم يقفوا بالعافية، آية وأشتان يسندون فؤاد، وسونه يسند جابير.

بدأ السبعة أشخاص بتفتيش غرف المستشفى، يُكسّرون باب الغرف بأرجلهم، ويدخلون إلى داخلها ليصيحوا في الناس ويسألوا عن مصطفى العربي.

- لازم نطلع من الشباك.

قالت آية.

حينها بدأوا بفتح الشباك، وقرروا أن يخرجوا، جابير أولًا، وأتي أشتان وسونه ليقفوا بجواره، بينما كانت آية تمسك فؤاد وحدها، وقام سونه وأشتان بحمل جابير ونزلوا به من شباك الغرفة الذي يؤدي إلى الجنينة الأمامية التي فيها الميكروباص، وتركوه في الجنينة ووضعوه على الأرض بجوار الميكروباص، ثم عادوا وأخذوا فؤاد وأنزلوه بجواره، حينها فتح أحد الأشخاص الغرفة ليجد آية وحيدة تقف بجوار الشباك فتّش الغرفة بعينه بحثًا عن مصطفى، ثم نظر إليها وهي تنظر من الشباك فشكّ في شيء فذهب ناحية الشباك ونظر منه ليجد

خبط عند باب المستشفى نتيجه اصطدام ميكروباص به وهو داخل إليها، وكان أول ما لاحظه ثم نظر تحت فوجد جابير وبجواره فؤاد بجوار الميكروباص.

أشار بالرشاش ناحيتهم وحاول ضرب نار، لكن آية أبعدت يده بقوة فأصاب الرصاص الميكروباص، حينها ضربها هذا الشخص بيده على وجهها وأبعدها عنه، ثم قال بصوتٍ عالٍ:

- العربي هنا اهو.

دخل عليه ثلاثة أشخاص ووجهوا أسلحتهم من الشباك، لكنهم وجدوا الميكروباص الآخر يأتي ليقف بجوار فؤاد وجابير ونزل منه أربع أشخاص، سحبوا جابير داخل الميكروباص وفتحوا عليهم النار ووجدت آية أحد الأشخاص الواقفين في الغرفة معها يقع على الأرض من طلقات النار وتكومت في ركن من الغرفة تبكي بشدةٍ خائفةً. واستمرت الطلقات النارية بين أربعة من تحت يضربون النار على شباك غرفة جابير فدخل الواقفون بالشباك إلى الغرفة لينتظروا قليلًا، ثم يعاودون الضرب من جديد، حينها قال أحدهم وهو يشير على آية التي تبكي بشدة:

- البت دي معاهم.

ثم أتتهم الطلقات من تحت مجددًا لينبطحوا جميعًا على الأرض، بينما ذهب أحدهم ليمسك بآية وجد نور الغرفة والطرقة المؤدية إليها ينطفئ ولم يروا آية وهي تطير في هواء الغرفة وتخرج من الباب، كان سونه وأشتان يحملونها وحاولوا الخروج خلفها، لكن طلقات نارية جعلتهم ينبطحون جميعًا مجددًا.

نزل سونه وأشتان بآية حتى الجنينة وأمسكوها من الجنب وجروا بها،

فجرت بسرعتهم حتى وصلت إلى باب الميكروباص وحينها قال جابير أنها معهم فأركبوها الميكروباص بجوار فؤاد على الكنبة الأخيرة التي ينام عليها، بينما ينام فؤاد على الكنبة التي تسبقها.

ركب الأربعة أشخاص الميكروباص بينما تحرك مسرعًا إلى الخارج ووجد جابير أحد الأشخاص يحضنه.

- مصطفى! أنت عايش! مصطفى! أنا قلت اخويه ماماتش، قلتلهم الرجاله ما بتموتش.

وأخذ ينظر في عين جابير الواحدة غير المربوطة باحثًا بداخلها عن حنانه له، فاستغرب أخوه بشدة وقال له:

- أنا شاهين أخوك ياله، أنت نستني!

وأمسكه بيديه من كتفه بينما يتحرك الميكروباص بسرعة شديدة:

- نسيت أخوك شاهين!

وجابير لا يعرف ما يفعل، وفؤاد في الكنبة الخلفية يحاول بشدة أن يقوم من مكانه ليرى الموقف، وآية كانت توشك على الكلام، ولكن جابير حضن شاهين في لحظة وقال له:

- لأ.. أزيك يا اخويه؟

وحينها حضنه شاهين بقوة وأخذ يضربه على كتفه.

- مين اللي عمل فيك كده ياله؟ هموته هموتهم كلهم، مصطفى العربي مايتعملش فيه كده.

تحرك الميكروباص بسرعة جنونية وسط تركيز شديد لشاهين وباقي أصدقائه

في الطريق خوفا من اي هجوم محتملٍ من الخلف ومن أي كمين يقابلهم ويجد معهم أسلحة حتى وصل إلى الطريق السريع، وحينها هدأ جميع من بالميكروباص ماعدا السائق. أخذ شاهين يتودّد إلى أخيه ويسأله عن حاله وما حدث له، ثم وجد آية تقول له:

- هو تعبان دلوقتي، أحسن تسيبه.

فنظر إليها شاهين:

- طب وحضرتك مين؟ متعرفتش، أنتي دكتورة؟

حاول جابير حينها أن يحرك رأسه ليرتفع لأعلى؛ ليقول أي شيء وسط صمت آية، ثم قال:

- لأ دي معانا.

فقال شاهين وهو يباعد نظره بين آية وبين أخيه:

- طب وحضرتك مين يعني؟

فوجد فؤاد يتحرك بتعبٍ شديدٍ حتى عدل ظهره ونظر إلى مصطفى قائلًا:

- دي مراتي.

نظرت آية إلى فؤاد باستغرابٍ جعل شاهين يشك، لكنها نظرت بعيدًا عن فؤاد؛ كي تُبعد الشك عنها، ثم قال جابير وهو نائم:

- كنا قاعدين مع بعض في نفس الاوضه.

شاهين:

- طب نوديهم فين دول؟

فقالت آية مسرعة:

- وأصحاب مش هينفع نسيب مصطفى.

فنظر لها شاهين وحرك رأسه لأسفل:

- تنوروا يا أستاذة.

وصل الميكروباص إلى المنصورة بعد رحلةٍ شاقةٍ استمرت لأكثر من ساعتين لولا وجود أشتان في الميكروباص واستخدامه للبخة في تسكين الآلام لما استطاع جابير وفؤاد أن يحتملا تلك الرحلة. توقف الميكروباص أمام بيتٍ قديم في أحد الأزقة القروية، ونزل منه شاهين العربي الأخ الأصغر لمصطفى أولًا، ثم نزل بعده باقي الرجال وبدأوا في مساعدة جابير وفؤاد على الدخول إلى داخل المنزل الذي كان في شارع عرضه لا يزيد عن ستة أمتار وكان مدخله بسلالم عالية أتعبت جابير وفؤاد عند صعودها، ثم بوابة حديدية ومدخل واسع به كنبة خشبية قديمة، تجلس عليها سيدة عجوز ترتدي الأسود، من فوقها لمبة نورها أحمر، عندما التفتت ناحية جابير الذي دخل المنزل ومصطفى يعكزه، نظر جابير لها ومن الوهلة الأولى لمقلتيها البيضاء اللتين لاتتحركان من مكانهما عرف أنها عمياء، لم يكن يعرف من هي وشعر بالخوف الشديد، ولكنها عندما اقتربت منهم دوّى صوت شاهين:

- ابنك عايش يامه، مصطفى اهو يامه.

وكان جسد مصطفى مغلفًا بالأربطة الطبية، لكنها لم تكن تراه. اقتربت منه وهو في شدة الخوف وسمعها تقول مصطفى، وعندما وصلت إليه وهي تتعكز على الهواء وضعت يدها على جسمه وبدأت تتحسسه، ثم اقتربت بأنفها وأخذت تشم في ريحته وحضنته بقوة، وأخذت تقول بصوتٍ مليئ بالبكاء:

- كنت عارفه إنك عايش ياضنايا.

وأخذت تقبل فيه، وتشم رائحته، وبدأ يحضنها كي لا ينكشف موقفه ومن خلفه آية وفؤاد يشاهدانِ الموقف مستغربينه تمامًا.

فالأم الباكية لا تحضن ابنها؛ لأن ابنها مات وسيموت بعد أقل من أربعة أيام مجددًا.

أخذت العجوز تشم رائحة ابنها وهي تبكي، نظر فؤاد إلى آية التي تسنده وواقفة عن يمينه، فوجدها تبكي هي الأخرى.

قالت الأم:

- مين اللي عمل فيك كده يابني؟ مين اللي عورك كده؟

ردّ شاهين بسرعة شديدة:

- هسلخهم كلهم مش مصطفى العربي اللى يتعمل فيه كده.

تحرك جابير متسندًا على أخيه وعلى أمه التي ما زالت تحضنته وتشم رائحته. كان يتحرك بصعوبة شديدة بسبب الجروح المنتشرة في باطن قدمه وفي باقي جسده كله. تحركوا إلى الغرف، جابير أخذوه إلى غرفة ووضعوه على السرير وجلست أمه بجواره تتحسس كل جزء في جسده، وفؤاد وآية أعطوهم غرفة وحدهم بعد أن أغلقوها عليهم، ظهر لهم سونه وأشتان:

سونه:

- هنعمل ايه؟

كان فؤاد نائمًا تمامًا على السرير الوحيد الموجود بالغرفة، وكان يوجد كنبة أخرى جلست عليها آية:

آية:

- العمل عمل ربنا.

أشتان:

- على فكرة أمه دي كان نظرها ضعيف ولما اتحكم عليه بالإعدام فضلت تعيط عليه لحد ما اتعمت.

فؤاد:

- هو اتحكم عليه إعدام في ايه؟ شكلهم يعني طيبين!

آية:

- الناس كلها بتبان طيبة من بره.

ثم سكتت قليلًا وقالت:

- بكره نعرف.

ناموا جميعًا، وأتي النهار فتح جابير عينه في الغرفة التي ينام فيها فرأى نورًا يتسلل من خلف فتحة في الشباك، أضاء له وجه أم مصطفى التي تنام على الكرسي المجاور لسريره وتضع يدها على السرير.

عدل جابير نفسه بصعوبة على السرير وجعل ظهره لشباك السرير فشعرت الأم بحركته، فقالت وهي تحرك رأسها يسارًا وتتحسس السرير بيدها:

- أنت صحيت يا مصطفى؟

ردّ عليها جابير بنفس الاسم الذي سمع شاهين يناديها به قائلًا:

- ايوه يامه

- اعملك تفطر ياعين امك؟

كان جابير يتأملها بينما تضع يدها على وجهه وجسده لتتأمله هي الأخرى:

- مش دلوقتي.

- طب اجبلك تشرب ياحبيبي ولا اجبلك سيجاره من اخوك؟

- لأ شكرا.. أنا عايز اشوف الناس اللي جم معايا بس لو كانوا صحيوا.

- هناديهملهم ياعين امك.

وقامت بصعوبة وهي تتحسس السرير والجدار الموجود بقرب السرير لتذهب ناحية الباب، شعر جابير بضيقٍ بالغ من تعبها وهي تتحرك ومن تعبها على ابنها المفقود الذي من المفروض أن يحل محله.

استيقظت آية النائمة على الكنبة بعدما استمعت إلى وقع أقدامٍ خارج الغرفة وفتاة تتحدث إلى سيدة كبيرة، شعرت بأنه صوت الأم التي رأتها بالأمس وكانت الفتاة تناديها بيامه أيضًا، ذهبت في اتجاه فؤاد النائم على السرير الذي لا يفصله عن الكنبة إلا خطوتانِ، وجدته فاتحًا عينيه موجهًا نظره ناحية السقف فشكت أنه مستيقظ، انتظرت منه أن ينظر إليها بعدما تحركت لكنه لم ينظر، حركت يدها أمام عينه فلم تتحرك مقلتاه فجلست على السرير بجواره وبدأت في وضع يدها على كتفه لتحركه وقالت له:

- فؤاد فؤاد.

وانتظرت قليلًا وظلّت تتابع مقلتيه الثابتتين، وأكملت قائلة:

- فؤاد.

فوجدته يرد عليها دون أن تتحرك مقلتيه في أي اتجاه.

- ايوه يا آية.

فركزت بشدة مع مقلتي عينيه الثابتتين وقالت:

- اصحى، أنت صاحي أصلًا؟

رفع فؤاد يده ليضعها على عينه، ثم رفعها من على عينه لتجده آية ينظر إليها قائلًا:

- أنا دلوقتي صاحي عايزاني اصحى ليه؟

- علشان نشوف هنعمل ايه.

صوت خبط على الباب ثم صوت الأم:

- يالي هنا.

فحاول فؤاد أن يعدل ظهره ويقوم من على السرير لكنه وجد صعوبة، فحرك رأسه قليلًا للأمام لينظر إلى الباب، ثم وجد آية تقوم من مكانها وذهبت في اتجاه الباب لتجد أمامها أم مصطفى العمياء.

قالت آية:

- ايوه ياحاجة.
- صباح الخير يا بنتي.
- صباح النور.
- لو انتوا صاحبين مصطفى عايز يشوفكم.
- حاضر يا حاجة.

عادت آية إلى الغرفه بعد أن أغلقت الباب وظلت تنادي على سونه وأشتان حتى استيقظا، كان أحدهما تحت السرير والآخر في الدولاب وسندوا فؤاد جميعًا وأخذوه حتى غرفة جابير.

جعلوا فؤاد ينام بجواره على السرير ففؤاد يشعر بإعياء شديد وألم في بطنه إذا وقف، جلست آية على الكرسي التي جلست عليه الأم ووقف أشتان وسونه يراقبون الباب.

آية:

- هنعمل ايه؟ هنمشي ازاي من هنا؟

جابير:

- هنمشي ليه؟

آية:

- هو ايه اللي هنمشي ليه! علشان مانموتش.

فؤاد:

- احنا لو طلعنا بره هنموت.

آية:

- ولو فضلنا هنا ما جابير هيموت متبقي أقل من تلات ايام وبعدين هيبقى خلاص.

جابير:

- طب هو أنا لو طلعت من هنا هعيش ازاي ما الحرس مش هيسبوني؟

نظرت آية إلى فؤاد وقالت:

- هو أنت مش ناوي تعمل أي حاجة؟

فؤاد:

- أعمل ايه؟

رفعت آية صوتها قليلًا وقالت:

- جابير بيموت قدامك تعمل أي حاجة تساعده.

جابير:

- خلاص يا آية.

كان فؤاد في شدة الحرج.

آية:

- لأ مش خلاص أنت لازم تساعده وتعمل أي حاجة، حرك مشاعرك، اتصرف واضحك أو عيط لو معملتش كده هيفضل محبوس في الجسم ده والحرس هيجوا يجبوه ومش هيسبوه يعيش.

نظر سونه إلى فؤاد ثم إلى جابير وقال:

- أنت لو مش هتعرف تفك السحر اللي عليك ده وروحك تبقى حرة من الجسد ده لازم تنزل تحت قبل ما مدتك تنتهي علشان هما مش هيسبوك تنزل تحت.

نظرت آية مجددًا إلى فؤاد الذي يفصلها جابير عنه قائلة:

- حاول يا فؤاد هيموت ومش هنعرف نخرج من هنا، حتى علشان ينزل تحت لازم تحرره.

فؤاد:

- هو أنا لو عملت كده هيعرف يخرج من اللي هو فيه ده وينزل تحت؟

أشتان:

- لأ طبعًا.. لازم ينزل بالإنسي ده ويدوهلهم وياخد جثته.

جابير:

- الست دي ما صدقت لقيت ابنها هناخده منها!!

نظرت آية إليه وهي في قمة الغضب وعيناها متسعتان عن آخرهما:

- ايه فيه ايه! أنت كمان الست دي ايه وبتاع ايه، وأنت مالك أنت بيهم! هتفضل قاعد هنا! ما الحرس كده كده هيعرفوا مكانك ويجيبوك

ويموتوك.

جابير:

- افرضي معرفوش وأنا كده كده لو نزلت تحت هاخد 300 سنة، طب مافضل في البني آدم ده وخلاص.

نظرت آية إلى فؤاد غاضبة، ثم عادت إلى جابير بنفس الوجه:

- لو نزلت تحت هترافع عنك تاني واحكي للقاضي اللي حصلك، وانك خدت جسم إنسان محكوم عليه بالإعدام والناس كلها كانت بتطاردك وإن أنت فعلًا مقتلتش الرجل، وهو هيخففلك الحكم لعشر سنين مش هتعرف تستحمل عشر سنين أنت ايه يعني.

نظر إليها جابير بغير رضا قائلًا:

- طب ماجبتليش ليه من الأول عشر سنين؟!

- سكتت آية وكأن السؤال صفعها على وجهها وأخذت نفسها وقالت:

- علشان أنا كان معمولي عمل ومكنتش شايفة غير مصلحة نفسي، عايز تعايرني كمان!

سكت جابير وحوّل نظره عنها.

أشتان:

- ادام كده ومفيش أمل يبقى أحسن حاجة إن أنت تنزل تحت من دلوقتي وتسلم نفسك وهي تيجي تترافع عنك وتاخد عشر سنين.

سونه وهو ينظر إلى فؤاد:

- أو إنك تضحك أو تعيط أو تحس باللي احنا فيه ده على الأقل.

سكت فؤاد قليلًا وقال وهو ينظر إلى الأمام:

- أو مكنتوش طلعتولي ليلة دخلتي وموتولي مراتي.

نظرت إليه آية بغضب ورفعت صوتها ورفعت حواجبها لأعلى:

- هو حد في اللي قاعدين دول كان طلعلك؟!

وضع جابير يديه لتبعد آية عن الاقتراب من فؤاد وقال:

- بس يا آية.

خبط باب الغرفة وفُتح وكان أشتان وسونه ظاهرين أمام مَن فتح الباب، فاختفيا بسرعة شديدة وخشي الآخرون أن يكون مَن فتح الباب رأهم لكنهم وجدوا الأم تدخل إلى الغرفة:

- يا مصطفى أنا عملت القطار، هتفطروا مع مصطفى ولا هتفطروا لوحدكم؟

فردت آية:

- هنفطر كلنا مع بعض.

الأم:

- طيب بالهنا.

ثم بدأت تتحسس الباب لتخرج من الغرفة.

آية وهي تنظر إلى جابير:

- احنا لازم نخرج من هنا في أقرب وقت، فاهم؟

جابير:

- ازاي دي نامت مكانك امبارح!

آية:

- بالليل لما كلهم يناموا.

قال سونه وهو مختفٍ:

- ممكن نطلع من الشباك ده.

آية:

- هتعرفوا تشيلونا احنا التلاتة؟

أشتان وهو مختفٍ أيضًا:

- هجيب عربية وأحطها في حتة قريبة من هنا وناخدكوا واحد واحد لحد العربية ونمشي كلنا.

جابير:

- امتى امتى؟

نظرت آية إلى جابير وقالت:

- بالليل لما يناموا هنجيلك هنا ونمشي كلنا.

* * * *

مرّ أول نهار عليهم، عرفوا فيه كل شيء عن مصطفى الذي صدم أحد أفراد عائلة المسيري زوجته وهي تحمل ابنته بعربية فماتوا فدخل برشاش إلى على العائلة كلها وهي في البيت، قتل منهم اثنين وأصاب الباقين إصابات بالغة فحُكم عليه بالإعدام والآن تلك العائلة تريد أن تنال منه.

اتصلت آية بشيماء وطمأنتها على أخيها وأخبرتها أنهم مختبؤن وسيظهرون

بعد مدة، وحذر كل الأشخاص آية وفؤاد بعدم الخروج الآن حتى يدبر لهم طريقة للخروج بها من الحي.

وجدت آية أن عدم معرفة جابير بأسامي الأشخاص سيسبب مشكلة، فأخبرت أخيه وأمه أنه فاقد للذاكرة ويحاول التماشي معهم كي لا يحرجهم، لكنه في الأصل لا يتذكر أي شخص وذلك سهّل على جابير الإحراج الذي يقع فيه لعدم معرفته لأفراد عائلته، ولكنهم بدأوا يحكون له كل شيء كي يتذكرهم من جديد.

أتى الليل الثاني وجلست آية وحدها في الغرفة مع فؤاد بينما ذهب سونه وأشتان ليدبروا سيارة.

جلست آية على الكنبة لتعطي وجهها لفؤاد النائم على السرير.

آية:

- أنت بجد يا فؤاد مش عارف تضحك أو تعيط؟

نظر لها فؤاد وقال:

- ساعات أسهل حاجة بنعملها بتبقى مستحيلة لبعض الناس.

آية:

- طب ماتحاول، اتعب شوية، فكر في أي حاجة ضحكتك، أي حاجة عيطتك.

نظر فؤاد إلى السقف وقال:

- هو أنتي متخيلة إن أنا مش عايز ابقى كويس! ولا أنا من جوايا نفسي الناس تفضل تقول عليا إن أنا أهبل!

آية:

- امال ايه اللي مانعك؟

فؤاد:

- معرفش.

ثم نظر إليها في عينها وقال:

- معنديش حاجة اقولهالك والله!

* * * *

كانت تتحسس كل جزء في جسده بيديها وهي تجلس على الكرسي المقابل له بينما يتأملها وهي تفعل ذلك.

- يعني أنت مش فاكرني ياضنايا؟ مش فاكر امك؟!

استمر جابير في التحديق فيها، ثم بدأ يتذكر أمه الجنيّة التي لا تتشابه إطلاقًا مع تلك السيدة، فأمه لون جلدها أحمر تمامًا لا تغطي الكثير منه مثلما تغطي تلك السيدة جلدها، لكنها كانت تُذكره بأمه التي تركها طويلًا وعاد ليراها فقط قبل أن تموت وشعر بأنه مقصر في حقها وبكى عليها بعدما ماتت.

ردّ عليها جابير:

- معلش أصل اللي حصلي كتير اوي يامه.

- تقوم تنسى امك يا عين امك!

- معلش يا امه.

وضعت يدها على عينه الواحدة لتتحسسها فتذكر أمه وهي تتحسس عينه

الواحدة وهو صغير بعدما فقد. الأخرى وتقول له أنها أجمل وأقوى عين في الدنيا وتطيّب جراحه على فقدان عينه وتقول له أنه من الممكن أن يستعيدها عندما يكبر.

قالت الأم:

- نفسي ارجع اشوف تاني علشان اشوف عنيك ياضنايا، عنيك اللي كانت بتشوفني وأنا في آخر الدنيا قبل أي حد.

قال جابير حينها في سره:

- لو رجعت طيّار تاني هرجعك تشوفي بعنيكي، بس لو رجعتك تشوفي مش هتشوفي ابنك علشان أنا مش هبقى موجود.

ثم ردّ عليها قائلًا:

- لو خفيت يامه هخدك لأكبر دكاترة يعالجوكي.

- إن شاء الله هتخف، بس مش هتعرف تخرج بره علشان الحكم اللي عليك يابني، خليك جنبي هنا وماتسبنيش ربنا يكرمك.

أخذ جابير يتأملها كثيرًا بعد هذا الطلب، ثم وجد سونه يظهر أمامه ويشير له بيده، فأشار جابير على يد الأم الموضوعة على جسده، وأشار برأسه يمينًا ويسارًا رافضًا. استمر الليل في التقدم واستمر سونه في العودة له وكان جابير يشير له دائمًا بالرفض؛ لأن يد السيدة كانت لا تفارق جسده ثم عاد في آخر الليل وحاولوا أن يحركوا يد السيدة من عليه، لكنها استيقظت وظلت تضع يدها على ابنها، وانتهت الليلة دون أن يستطيعوا الخروج.

أتي النهار الثاني وبدأ توتر آية يزداد لضيق الوقت وعدم قدرتهم على الخروج

بالأمس، تحدثت آية إلى أم مصطفى وطلبت منها أن تنام لترتاح بدلًا من النوم على كرسي بجوار ابنها، لكنها أخبرتها أنها لا ترتاح إلا هكذا، ودار بينهما حديثٌ طويلٌ سألت فيه أم مصطفى آية عن الطريقة التي تعرفت عليه فيها هي وزوجها، وكانت تقصد فؤاد وبدأت آية في اختلاق الحكايات وأخبرتها أنه كان يجلس مع زوجها في نفس الغرفة، ووجدوه فاقد للذاكرة فتعرفوا عليه وبدأوا يساعدوه وشكرتها أم مصطفى كثيرًا على ما فعلته.

ذهبت آية إلى جابير وأخبرته بأنه لا مفر من الخروج الليلة مهما حدث، وعليه أن يخرج دون أن يعير أي انتباهٍ لما خلفه، وأتى الليل ووجد جابير أم مصطفى بجواره تُذكره بأمه التي قصّر في حقها يخشى أن يتركها ويهرب. فُتح الشباك الموجود في الغرفة فعرف أنه سونه، ثم فجأةً وجد خزيم يجلس أمامه على السرير فارتعش خوفًا ونظر إلى السيدة، وعدل ظهره وأشار لخزيم بالخروج من الغرفة، ثم وجد خزيم يتحرك في الهواء ويقترب من أذنه ليتكلم فيها قائلًا:

- أنا عرفت أنت مين يا أشعم.

فنظر له جابير في عينيه الحمراء المفتوحتين عن آخرهما بكل قوة، ولم يستطيع أن ينطق ببنت شفة، وفجأةً فُتح الباب بسرعة وكانت آية جاءت بعد أن أخبرها سونه، نظرت آية مباشرة إلى خزيم، بينما قالت أم مصطفى وهي تتحسس ابنها:

- في ايه؟

أشارت آية بيدها إلى خزيم وأخبرته بالخروج من المكان.

تكلّم خزيم في أذن جابير قائلًا:

- أنا سمعت عنك كتير بس ماتخيلتش إن انا اللي همسك، معدلكش كتير، بكرة زي دلوقتي هتبقى بتاعي وهجيب كل الحرس اللي حرقتهم وهما بيجروا وراك علشان يتشفوا فيك.

أشارت آية بيدها مجددًا إلى خزيم ليخرج من الغرفة، بينما قالت أم مصطفى:

- يا مصطفى، أنت صحيت؟

حينها اختفى خزيم وذهبت آية لتغلق الشباك خلفه، وسمعت جابير يقول:

- ايوه يا امه أنا صاحي.
- أجبلك حاجة ياضنايا؟
- لأ يامه شكرا.

كانت آية حينها تقف على الطرف الآخر من السرير تراقب جابير وهو يتحدث إلى أم مصطفى التي تضع يدها على يديه، ثم رفعت آية يديها في الهواء، وأخذت تشير إلى جابير برأسها بأنها تريد إجابة، ثم أشارت ناحية الشباك بيديها بأنها تريد الخروج من هنا، فأشار جابير على يد أم مصطفى التي تحتضن يديه وحرك رأسه هو الآخر كأنه يبحث عن إجابة.

قالت أم مصطفى:

- هو الشباك مفتوح ولا مقفول يا مصطفى؟

وقامت من مكانها تتحسس السرير لكي تذهب ناحيتها فقال جابير مسرعًا

- مقفول، مقفول يامه.

فعادت مجددًا للجلوس مكانها بينما تنظر آية إلى جابير بكل قوة، ثم ذهبت إلى الناحية الأخرى من السرير واقتربت من أذنه وقالت له:

- النهاردة هخليهم يجوا يشيلوك، النهاردة.

قالت أم مصطفى:

- بتقول حاجة يا مصطفى؟

نظر إليها وقال:

- لأ يامه.

ثم عاد بالنظر إلى آية وأشار برأسه بالموافقة فتسحبت آية وخرجت من الغرفة وأغلقت الباب:

- هي ايه يا مصطفى أصوات القفل والفتح دي، فيه حاجة ياحبيبي؟
- لأ يامه.
- طب أنت مابتنمش ليه ياضنايا؟ ايه اللي قلقك؟

نظر إليها جابير وقال:

- مفيش يامه.

فقبضت بيدها اليمنى على يده اليمنى وقالت:

- ماتسبنيش تاني يابني والنبي.

فنظر إليها مصطفى وقال:

- حاضر.

* * * *

فتحت آية شباك الغرفة وقالت لسونه:

- ودونا احنا الأول عند العربية وسيبونا فيها وبعدين ارجعوا هاتوه

ماشي؟

سونه:

- حاضر.

آية:

- لو مارضاش يجي شدوه غصب عنه.

سونه:

- خلاص ماشي هنودي مين الأول؟

آية:

- ودوني أنا الأول وبعدين تعالوا هاتوا فؤاد علشان أعرف ادخله في العربية.

أشتان:

- ماشي.

كانت آية تقف في منتصف الطريق بين السرير والكنبة، فتحت ذراعيها وأتى سونه في ناحية اليمين وأشتان في اليسار ورفعوها عاليًا وقالت وهي خارجة من الغرفة لفؤاد:

- ماتقلقش هيجولك دلوقتي.

* * * *

- فاكر أخوك حسين يا مصطفى؟

قالت أم مصطفى.

استغربها مصطفى ولم يعرف ماذا يقول فأكملت قائلة:

- هو أنت فاقد الذاكرة اوي كده؟

- معلش يامه.

- ولا يهمك ياعين امك.

- فكريني بيه والنبي.

أكملت الأم كلامها:

- أخوك حسين كان تحتك بسنة، الله يرحمه. مات وانتوا في ثانوي لما رحتوا رحلة راس البر مع المدرسة وغرق.

وبدأت في البكاء، ومسحت دموعها بكم جلبابها:

- كنتوا روح واحدة. فضلت تعيط شهر بعد ما مات.

ظهر سونه وأشتان على يسار جابير

سونه في أذن جابير.

- ياللا

التفت جابير إليه ثم إلى أم مصطفى التي تبكي. ثم عاد إلى سونه قائلًا:

- مش هينفع.

فرفع سونه حاجبه قائلا

- هتيجي بالهداوة لاما هنشدك

فتح أشتان الشباك فأصابه الهواء وهو يفتحه. فأصدر صوتًا جعل أم مصطفى تقوم من مكانها قائلة:

- هو ايه حكاية الشباك ده؟!

وبدأت تتحسس السرير.

نظر سونه إلى جابير قائلًا:

- ياللا، لاما هتيجي بالعافية.

جابير:

- مش جاي.

نظر سونه إلى أشتان فذهب أشتان الناحية الأخرى من السرير وقاموا برفع جابير من على السرير فأخذ يقاوم بشدة مما أصدر صوتًا.

فعادت أم مصطفى إلى السرير:

- ايه يا مصطفى في ايه؟!

وأخذت تتحسس السرير فلم تجده عليه وأخذت تنادي:

- يا مصطفى، أنت روحت فين يا مصطفى؟ يا مصطفى.

وتحركت بسرعة تجاه الناحية الأخرى من السرير، فاصطدمت برجل السرير فوقعت على الأرض وأخذت تنادي على مصطفى.

عندما خرج جابير من الشباك معهم بدأ يصرخ فيهم وهو في الهواء.

- رجعوني رجعوني.

وبدأ يحاول أن يفلت منهم، لكنهم أحكموا قبضتهم عليه حتى أوصلوه للسيارة، وأنزلوه أمامها فوجدته آية متعصبًا، فنظرت له بينما هو مسنود على سونه وأشتان وقالت:

- أنت عايز ايه؟ عايز تموت!

جابير:

- رجعوني.

آية:

- بقولك ايه أنا مش ناقصة جنان، الواد ده كده كده ميت، لو رجعت هتقعد مع ابنها يوم وهيموت علشان الحراس هيجوا يموتوك ولو خادوك منها ممكن يشرحوا جثتك في البيت عايز ايه، بص في السما.

نظر جابير إلى السماء فوجد القمر قارب الاكتمال تمامًا:

أكملت آية:

- معدلكش إلا بكرة وبعدين هيجوا ياخدوك، عايز تقضي آخر يوم عندها نرجعك.

لم ينطق جابير ببنت شفة ودخل إلى السيارة التي قادها سونه وأشتان، وآية تجلس بجوارهم في الأمام، بينما يجلس جابير في الخلف متحاملًا على آلامه، وبجواره فؤاد هو الأخر يضع يده على بطنه التي يشعر بأن فيها نارًا.

جابير:

- مكنش مفروض امشي.

نظر إليه فؤاد قائلًا:

- لو فضلت هنا هتموت.

نظر إليه جابير نظرةً مطولةً يشكيه فيها فؤاد لنفسه فهو السبب في كل هذا، شعر فؤاد بأن تلك نظرة تأنيب، فردّ قائلًا:

- ياعم أنا مش بايديا حاجة والله، أنا نفسي أساعدك، ربنا يعلم أنا استجد.تك اد ايه بس اعمل.

كانت السيارة تلف من ملف ثم انهالت الطلقات النارية على السيارة، فزاد الجن سرعتها بينما انبطح الجميع بصعوبة في تلك السيارة الصغيرة، واستمروا في الجري بالسيارة وطلقات النار تأتي بقوة من خلفهم وتصيب السيارة، ثم فجأة شعروا بأن الطلقات لم تعد تصيب السيارة مع أنهم يستمعون إليها ومضاعفة، استمرت السيارة في الحركة حتى ابتعدوا تمامًا عن إطلاق النار ونظرت آية بعينها إلى الكنبة الخلفية فوجدت فؤاد ملقىً بقوة ناحية اليسار فاقدًا توازنه، فسألته:

- في ايه؟

فأخبرها:

- بطني، ألم فظيع.

- جاتلك حاجة فيه.

- لأ.

ثم نظرت ناحية جابير الذي يجلس بشكل معتدل على الكرسي وينظر ناحيتها فسألته:

- في حاجة؟

فلم يرد.

ثم وجدت سونه يظهر من خلفه بعد توقف السيارة يتلاحم جسده في جسد جابير، أنزل سونه رأس جابير للأمام فوجدوا فيها رصاصة من الخلف والدم ينزل منه، أصابهم جميعا الهلع لرؤية ذلك المنظر، وبدأت آية تنادي عليه:

- جابير جابير.

كان يفقد الوعي.

ونظر إليه فؤاد ووضع يده على رأسه مكان الرصاصة وسأله وهو ينظر له مباشرة في عينه:

- يا جابير، جابير في ايه؟ جابير ردّ عليا.

نظر جابير إلى فؤاد نظرة أخيرة، ثم أغلقت عيناه، فأخذ فؤاد يصرخ وهو ينادي عليه:

- يا جابير جابير.

فتح سونه وأشتان الباب وحاولوا إخراجه من الباب وأخرجوه، وخرجت آية تحمله معهم ثم وضعوه على الأرض، وحاول أشتان إخراج الرصاصة، ففشل، بينما ينظر فؤاد إليه في خوفٍ شديد.

ثم قال أشتان:

- مش عارف اطلع الرصاصة.

آية بسرعة:

- طب ودوه أي مستشفى.

سونه:

- طب مانزله تحت وخلاص.

صرخت آية:

- ودوا في أي حتة اخلصوا ولا اعملولوا انتوا أي حاجة.

نظرت أمامها بينما يرفع سونه وأشتان جابير فوجدت إطلاق نار في الهواء، ثم وجدت شاهين يجري مسرعًا حاملًا سلاحه، وذهب في اتجاه أخيه ومسكه

بيديه الاثنين، وأخذ ينادي عليه:

- يامصطفى مصطفى علمتوا ايه في الوله؟! طلعتوه بره ليه؟!

ثم نظر ناحيه آية بينما أمسك مصطفى اثنين آخران ولطم آية بقوة على وجهها:

- انتوا مش مصدقين إن احنا أهله يا ولاد الكلب، طلعتوا بره ليه قلنالكم ولاد المسيري هيقتلوه.

ثم توجه بنظرة إلى جابير الذي فقد الوعي تمامًا والذي يحمله الرجال على أكتافهم، ثم نظر إلى فؤاد الذي اقترب منهم وهمّ بضربه هو الآخر، لكن الدموع التي كانت تملأ عين فؤاد منعته من أن يضربه. حمل الرجال جابير حتى المنزل بينما جلس فؤاد على الأرض، وأخذ يبكي وهو يسند ظهره على السيارة ويقول:

- أنا بعيط أهو خلوه يعيش بقى، أنا بعيط اهو.

وأخذ يبكي وآية بجواره وظلّ يقول:

- أنا بعيط أهو.

ثم سمع صوت شاهين من بعيد:

- هموتكوا كلكم يا مسيريه يا ولاد الكلب.

وطبطبت آية على فؤاد الذي يبكي بشدة على فراق جابير، ونظر لها فؤاد وإلى سونه وأشتان وأخذ يقول:

- أنا بعيط اهو خلوه يعيش بقى، أنا بعيط اهو.

وضعوا جثة مصطفى في الدور الأرضي وبدأوا في تخييط الجرع وتعريته كي يغسلوه، ونزلت أمه إلى الكنبة التي يضعونها عليها كي تتحسس جسده وهو

عريان أمامها وظلّت تبكي كثيرًا وهي تتحسس بيدها جسد ابنها العاري وتقول:

- يا مصطفى، يا مصطفى، سبتني ليه يا مصطفى؟!

ثم فجأةً شعرت بألم شديد في عينها فتأوهت فنظر إليها أحد الأشخاص وقال لها:

- في حاجة يا حاجة؟

فدعكت بيدها عينها ثم رفعت يدها عن عينها فرأت ابنها فأخذت تبكي.

- يا مصطفى أنا شفتك يا مصطفى أنا رجعت اشوف تاني يا مصطفى،

وأخذت تنظر على كل شبر في جسده وتقبله، ودخل عليها شاهين فاستغرب من أنها عادت ترى من جديد.

كان فؤاد لا يزال يُسند ظهره على السيارة ويبكي بعد مرور ساعات، وكانت آية لا تزال بجواره تتطبطب عليه، ثم سمع صوتًا يقول:

- ياعم أنا كنت عايز منك دمعة واحدة مش العياط ده كله.

انتفضت آية لسماع صوت جابير وأخذت تهلّل:

- جابير جابير أنت فين.

فتوقف فؤاد عن البكاء وظهر أمامهم جابير يجلس على الأرض بجسد الجني وينظر إلى فؤاد الخائف من جسده، فقال له جابير:

- ماتخافش أنا صاحبك بس في جسم تاني.

فؤاد:

- أنت لسه عايش ازاي؟!

جابير:

- أنت عيطت قبل ما مصطفى يموت فبقيت حر ولما جسم مصطفى، مات أنا روحي ماماتتش علشان روحي حرة، فرجعت بروحي بس وخدت جسمي، وادِيني قدامك اهو.

قامت آية من مكانها واحتضنت جابير بكل قوة:

ثم ظهرت سيارة أخرى خرج منها سونه فنظر إلى جابير:

- يا طيار أنت رجعت يا طيار؟

وذهب سونه إليه واحتضنه بكل قوته وهكذا أشتان، ثم نظر جابير إلى فؤاد الساند على السيارة وقال له:

- ايه مش عايز تحضني ولا ايه؟

فتحرك فؤاد ببطء ليحضن جابير، لكنه وجد نفسه في حضن جابير وطاير في السماء ونظرت لهم آية وسونه وأشتان وهم واقفان على الأرض وكانا في شدة السعادة، ثم نظرت آية إلى أشتان وقالت له، بينما اختفي جابير وفؤاد:

- هو أنت لسه معاك الزمارة بتاعتك بتاعة الأعمال دي؟

أشتان:

- مش اتريقتي عليها!

آية:

- خلاص بقى بطل رزالة.

أشتان:

- اه معايا.

آية:

- طب ماتشوفني كده معمولي عمل ولا حاجة.

سونه:

- ليه؟

آية:

- اصلي حاسة إن فؤاد ده طيب شويه وعسل يعني.

فضحك عليها سونه وأشتان.

شَعَرَ جابير بغير الرضا، فجابير أخذ حكمًا غيابيًّا بالحبس ٣٠٠ عامٍ، وعندما قُبض عليه كان من المفروض تنفيذه، لكن يحقُّ له المطالبة بإعادة المحاكمة طالما كانت غيابيًّا. ذهبت إليه لتلتقي بجابير في السجن ـ سجن البحر الكبير الموجود أسفل البحر الأحمر ـ ولايوجد له منفذ من تحت الأرض، وطريق الخروج الوحيد.. هو الماء.

محمد زيدان

Designed by: Sarah Seliman

ليلبث للنشر والتوزيع